

سلسلة الرحلة - المغامرة رقم 1



الرحيل



ابراهيم محمد





الرحلة

رحلة إلى حدود العالم.. لمعرفة الحقيقة
و إجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة؟

الرحلة

رحلة إلى حدود العالم.. لمعرفة الحقيقة
و إجابة سؤال.. أكروية هي أم مسطحة؟

(1)

الرحيل

تأليف

ابراهيم محمد

مراجعة لغوية

نضيفه حين نجده

رسوم

ابراهيم محمد بمعونة الذكاء الاصطناعي

الناشر

نضيفه حين نجده

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

للتواصل مع المؤلف

Almoontaha@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة الأولى

هذه سلسلة مغامرات تقوم فكرتها على الاختلاف بين فريقين حول هيئة الأرض، فريق يؤمن بأنها كروية وهو الأكثرية الغالبية، ويشمل أكثرنا وكيف لا؟ ، وقد نشأنا مع هذه النظرية ودرسناها حتى كانت مسلمة عندنا، والفريق الثاني يؤمن بأنها مسطحة على العموم لا تكوير فيها، وبدأ هذا الفريق صغيرا ولكن كثر أتباعه حتى طفى على السطح وصار ظاهرا للعيان، و معه برز الصراع بين الطرفين.

الفريق الأول يتهم الثاني بالجهل و إنكار الحقائق واستغلال الدين لبناء مفاهيم خاطئة والرجوع بالناس إلى عصور الجهل والتخلف، والفريق الثاني يتهم الأول بالكذب والخداع والتزوير ومحاربة الدين، وأن الأرض أكبر مما نعرفه و لكل حالة أو ظاهرة في عالمنا لها تفسير تبعا لقواعد الأرض المسطحة هو أفضل من التفسير المعتمد على كروية الأرض.

لأجل ذلك وجب من جانبي التنبيه على بعض الأمور الهامة:

- هذه السلسلة - إن كُتِبَ لها النجاح و الاستمرار- هي سلسلة مغامرات خيالية وليس بحثا علميا، رغم أننا سنذكر حجج وبراهين الطرفين، وسيتم ذكرها تبعا لمسار الرواية وأحداثها بشكل محدود ومختصر، دون أن تطغى على أحداث القصة أو تشغل حيزا كبيرا.

- لا أسعى في هذه السلسلة لترجيح طرف على طرف، بل ولن أسعى إلى دفع القارئ لتبني وجهة نظر فريق دون الآخر، وعلى القارئ أن يدرك أن حجج الطرفين ستظهر معا أو طرف دون الآخر تبعا لما تقتضيه أحداث الرواية، وظهور حجة طرف وحدها لا يعني عدم وجود بديل لها عند الطرف الآخر، فالبديل قد يكون في رواية تالية، فأنا اكتب رواية مغامرات وليس بحثا علميا.

- أول رواية من هذه السلسلة تحرص على إظهار أفكار المؤمنين بتسطح الأرض، من باب التعريف بهم فقط لمن لا يعلم عنهم و لا عن أفكارهم.

- يستشهد الفريقان بآيات من القرآن وأحاديث شريفة وغيرها من الأديان الأخرى، لكن يجب أن يعلم القارئ أن ما يرد على لسان شخصيات الرواية هو فهم الفريق المعني للنص الديني وليس تفسيرا قاطعا له.

- شخصيات الرواية من بلدان عدة وأعراق مختلفة، وهذا الأمر فرضته فكرة السلسلة، لكن الشخصيات تتصرف تبعا لطبيعتها البشرية الخاصة وليس تجسيدا لطبيعة أهل بلدها أو عرقها، لذلك ليس من الانصاف تعميم

سلوك الشخصية على قوميتها أو بلدها، سواء أكان السلوك محمودا أم مذموما، فهذه سلسلة مغامرات خيالية.
أرجو أن أكون أوضحت للقارئ ما قد يتسبب في سوء الفهم، وأتمنى له الاستمتاع بهذه السلسلة وأن يكتب لها النجاح والاستمرار.



المقدمة الثانية

الأرض كروية يغطي الماء ثلثيها، ماذا؟ هناك من يقول هي مسطحة على العموم وأكبر مما تظهره الخرائط!

هنا بدأ الجدال و أوشك أن يتحول إلى صراع، ولكن مهلاً.. نحن في القرن الحادي والعشرين، حيث الطائرات التي تبلغ عنان السماء، وتقطع الأرض من مشارقها إلى مغاربها، والسفن العملاقة التي تمخر عباب البحر دون عناء و لا جهد.

لنقطع الشك باليقين وليأت كل فريق بثقافته، ونذهب سوياً في رحلة حول الأرض، إن عدنا إلى نفس النقطة التي بدأنا منها فهي كروية ولا شك، وإلا فهي مسطحة وعلى من بطلت حُجَّتُه أن يقبل النتائج ويقرها. وجاءوا..

من كل حدب وصوب..

يحملون متاعهم..

يهربون من حاضرهم..

يخفون أسرارهم..

يدارون غاياتهم..

لتبدأ رحلة..

أغرب من الخيال..

ابراهيم محمد

1-ثرثرة و أشياء أخرى

انهمك (سامح) في المذاكرة على كرسي خشبي و هو يتكى بكتابه على شاشة حاسوب قديم على منضدة أمام النافذة و من خلفه خزانة ثياب وسريران، أحدهما له و الآخر لأخيه الأكبر (عاصم)، أخوه الأكبر الذي يحتج على وجوده معه في الغرفة، غرفة قديمة هي، تم طلاؤها عدة مرات و تساقط طلاؤها في أجزاء متفرقة، و مروحة سقف متوقفة و باب خشب لم يبق من شبابه إلا الذكريات.

"يغطي الماء ثلثي سطح الكرة الأرضية..."

هنا جاءت الصفة اللطيفة على قفاه، لتوقف (سامح) عن مذاكرته ، و صوت أخيه (عاصم) يقول:

-مسطحة يا أحمق، مسطحة، إلى متى سيخدعوك؟.

أمم لقد عاد المُسطح، الآن المذاكرة يجب أن تكون صامتة، قبل الرد و الانتقام يجب إعداد خطة الهروب، الباب مفتوح.. ممتاز، و (عاصم) بجوار سريره بعيدا عن الباب.. رائع، لنبدأ التنفيذ.

و قف (سامح) و ضم كتابه إلى صدره وأمسك ذقنه و عقد حاجبيه حتى بدا أشبه بتمثال لمفكر في أحد الميادين و قال :

-لقد أخبرت أستاذ العلوم بما تقول، هل تعلم ماذا قال؟

نظر له (عاصم) وهو يخلع حذاءه ليملاً الغرفة برائحة تُزهق
الأنفاس و الأجناس و لم يجبه، فأكمل :

-قال إن الشيء الوحيد المُسطح تسطيحا لا شك فيه هو رأس
أخيك.

الآن الهروب، اندفع من الغرفة إلى بهو البيت، و كاد أن ينجح و
يعلن انتصاره الساحق بمد لسانه، و لكن قذيفة كيميائية على هيئة
جورب نتن الرائحة أصابته في كتفه، و هو يصيح:

-أمي.. أمي.. لقد عاد المُسطح.

لم يبال به (عاصم) و أكمل تغيير ملابسه ،فأمامه عمل هام، قعد
أمام حاسوبه القديم وضغط زر التشغيل، الأخبار الهامة التي
سمعها اليوم تتردد في مجتمع الأرض المسطحة، جعلته يعود
ملهوفا للتأكد من صحتها، فإن صحت الأخبار فأمامه فرصة رائعة
للمغامرة، بل حياة جديدة.

انتهى تحميل نظام التشغيل و فتح متصفح الإنترنت، و بدأ يبحث
في صفحات و مواقع الأرض المسطحة.

هذا هو "نبحث عن متطوعين شجعان، متطوعون قادرين على القيام برحلة إلى بلاد بعيدة، بلاد قد تكون ظروف الحياة فيها صعبة و قاسية، الرحلة هي إعادة استكشاف الأرض و لكن من مسار مختلف، الرحلة لقطع الشك باليقين، و إجابة السؤال هل هي كروية أم مسطحة؟، المتطوع يجب أن يكون ذكيا و ذا ثقافة جيدة و لياقة بدنية عالية و قوة تحمل و محب للمخاطرة والمغامرة، المتطوع سيخضع لعدة اختبارات للتأكد من توفر هذه المتطلبات، إذا كنت مهتما بهذه الفرصة، قم بالتسجيل عن طريق الرابط التالي"

نقر الرابط لتظهر صفحة أخرى، أدخل اسمه و عنوانه و هاتفه و بريده الإلكتروني لتظهر رسالة تخبره أنه سيتم الاتصال به في أقرب فرصة.

انشغل بمتابعة صفحات أخرى و هو يتمنى أن يكون الخبر حقيقيا و ليس دعاية ثقيلة، أنه واثق من قدرته.. وهي فرصته، فرصة الخروج من أرض العدم حيث تموت الأحلام، و يسود الفقر و العجز إلى أرض تحمل شيء آخر، حتما ليس الفقر و العجز فيها، أو هذا ما يتمناه، أرض تحمل آلاف الاحتمالات، يكفي أنه سيذهب

إلى أرض أخرى، و هذه فرصة لن تتاح له إن اختار البقاء في بلده.

أرض أخرى؟ بل هي رحلة استكشاف العالم من جديد، بعيدا عن الفقر و اليأس، أنه لا يعلم كيف سيعد مصاريف الرحلة أن نال هذه الفرصة..

الغداء.. الغداء يا (عاصم).. الغداء.. اممم الغداء.. الغداء؟ ما دخل الغداء في.. آآآه الغداء، هذا صوت شقيقته (إيناس) و هي تدعوه للغداء، أخرج نفسه من أفكاره ورد عليها:

-قادم.

* * *

اتخذ الأب مكانه على رأس المائدة الطويلة لتناول الغداء، و نظر إلى زوجته الطيبة و أولاده الأربعة وابنتيه، هذه مملكته و هؤلاء رعيته، و أطل النظر إلى ابنه الأكبر (عاصم) ، مشكلة في هيئة شاب، لقد تخرج حديثا لينظم إلى جحافل العاطلين، و يحتاج عملا و بيتا و زوجة، من أين؟ الله سيدبرها، فهو بكل جهده يحاول أن يبقي هذا البيت قائما و مكتفيا، و لا يوجد في جيبه فلس واحد للغد، فكل ما يملكه لأجل اليوم، كانت هذه الخواطر تدور في رأس

الأب، حين شعر (عاصم) بيد تُوضَع على رأسه و أخته (إيناس) تقول:

-الأصبع الأول على الثانية الأولى و الأصبع الثاني على الثانية الثانية من ثنايا المخ، و بقياس الزاوية بين الأصبعين، نجد أنها مائة وثمانون درجة، و هذا دليل لا يقبل الشك أن مخ (عاصم) مسطح تماما.

هنا رفع الأب يده بملعقة الطعام وأشار لابنته بالجلوس و قال:
-لا أريد أي حديث حول هذا الأمر، مفهوم؟ الأرض مكعبة، من يعترض سيُحرم من الطعام، هل هناك من يعترض؟.

و أشار بالملعقة نحو ابنه الأول و قال:

-أنت.. الأرض مكعبة أم لك رأي آخر؟

أجابه الأول بسرعة و بولاء تام، فهو ليس أحمق ليذهب بغداءه لأجل أمر لا يشغله:

-مكعبة و ستون مكعبة.

و أشار الأب إلى ابنه الثاني و قال :

-وأنت؟

كان في ذكاء الأول ولكن المزيد من الفلسفة لن يضر أحدا:

-وهل يوجد شكل هندسي سوى المكعب ليصف الأرض يا أبي الحبيب؟، إنها مكعبة تكعيبا لا يقبل التربيع و لا التخميس، مكعبة تماما.

زجره الأب فهو لا يطيق الفلسفة وقت الطعام وقال:

-الإجابة يجب أن تكون مختصرة، لا أريد فلسفة.

و أشار لابنه الثالث و قال:

-و أنت؟

الثالث كان أكثر حكمة و زهدا في الحديث فقال وهو ينظر للطعام انتظارا لإشارة البدء:

-مكعبة.

هنا نظر الأب لابنه الرابع والأكبر (عاصم) وضافت عيناه فى نظرة ذئب يسمع نقيق الدجاج و أشار إليه دون أن يتكلم، وكان ذاك أمره كأبطال القمص حين يحيط بهم الأعداء، فبدلا من المداهنة يبدأ نطح الخراف، و لكن يبدو أن شيئا من التعقل فيه، فقد أجاب:

-مسطحة تلقي ظللا مكعبة.

نظر له الأب نظرة "لن تكون أذكى مني" و قال:

-فرصتك الأخيرة، مكعبة أم غير ذلك؟

و نظر الأب لابنته الصغرى و قال:

-هاتي طبق البامية.

امتدت يد الصغيرة لتأخذ طبق البامية من أمام (عاصم)، و لكن يد

(عاصم) امتدت بسرعة لتُبقي الطبق في مكانه وهو يقول بسرعة

:

-مكعبة و لها ظلال مسطحة.

أشار الأب لابنته بترك الطبق و أشار إلى طبق السلطة و هو

يقول:

-هاتي السلطة، يجب أن يفهم الجميع أن النظام الذي أديره هو

نظام ديكتاتوري لا يقبل المعارضة أبدا، هيا بسم الله الرحمن

الرحيم.

أمسك (عاصم) بطبق السلطة قبل أن يطير و هو يقول:

-مكعبة يا (أبا عاصم) ، مكعبة و ستون مكعبة، أنت الأب الطيب

الحنون.

أشار له الأب إشارة تحذير واضحة، ليؤكد نظامه القمعي في

مملكته التي يديرها تبعا لأهواءه، من لا يقبل به عليه إنشاء

مملكته الخاصة.

قطعة لحم! أنه سعيد الحظ، و لكنه لا يعلم أن أمه هي من وضعت له تلك القطيعة من اللحم، و الأحمق لم يكتف السر بل تكلم و ثرثر، فقال (سامح) :

-لحمة.. ممم، أبي لماذا لا تسأل البنات؟ دائما تسألنا نحن الأولاد فقط.

قال الأب و هو يلوك طعامه و ينظر إلى (سامح) مخفيا عينيه وراء حاجبيه:

-أنتم من يثيرون الضجة و يكثرن الصياح، البنات لا تهتم بهذه الترهات.

احتج (عاصم) و عنده ألف سبب لذلك، و عدم وجود قطعة لحم ليس أولها، قال و عينه على أخته الصغرى (إخلاص) :
-العلم ليس ترهات يا أبي.

دق الأب المائدة بمؤخرة ملعقته في حركة سلطوية و قال:
-بيتي هو مملكتي، أنا من أضع القوانين و القواعد و العلوم، في بيتي الماء من الجوامد و الحديد من السوائل.

هنا تدخلت زوجته لتؤكد سلطته، فهي مثله تكره صياحهم و جدالهم في كثير من الأمور، و تحب الهدوء و السكينة، حتى و إن كان ثمنهما إضطهاد الأربعة، فقالت :

-هذه دولتنا و من لا يرغب عليه النزوح إلى دولة أخرى و طلب اللجوء السياسي.

اللجوء السياسي! متى تدخلنا في السياسة؟ عموماً هذه هي الموضة هذه الأيام، وفي رياء واضح و مدهانة قالت (إيناس) :

-و نعم القول يا أمي، و لكن يا أبي لكل دولة علم، أين علم دولتك العظيمة؟

شجر الأب من أنفه، فإن كان يحب ابنته، إلا أنه يكره الرياء و النفاق و المدهانة وقال :

-و ماذا تظنين أنني ارتدي؟

طبعا يرتدي منامة بيضاء مريحة و مخططة بخطوط زرقاء طولية، تماما كالعلم الأمريكي و لكن بدون مستطيل النجوم، إن حبه لمملكته يفوق الوصف، المهم أن لا يمتد إلى الملابس الداخلية كما يفعل الأمريكيون في الولايات المتحدة الأمريكية.

العالم كما هو، حروب و فوضى و مشاكل هنا و هناك، وهذا هو لا يجد عمل يناسبه في مواقع الخدمات الصغيرة، الكل يطلب أعمال كثيرة بأجور زهيدة، و من يطلب هذه الأعمال واثق جدا أنه سيجد من يفعلها له بالسعر الذي يحدده.

دارت هذه الأفكار في رأس (عاصم) وهو يتصفح في هاتفه النقال، و يستمع لأنفاس أخيه (سامح) النائم، الساعة الآن العاشرة ليلا، و لم يجد لنفسه عملا لنهار الغد، و هذا يعني أن الغد إجازة، إجازة بمفهومه طبعاً، سيبحث عن شيء يشاهده قبل النوم، بفضل الله أن خدمة الإنترنت كانت من الأشياء التي استطاع أبوه أن يوفرها قبل إعلان عجزه و إفلاسه و إلتزامه بضروريات البقاء فقط، وقد بذل (عاصم) جهده كي يشعر أبوه بمميزات الإنترنت و فوائده، و بأنه من ضروريات العصر، و علّمه برامج الاتصال والمراسلة و التصفح، و يبدو أنه أفرط في عرض مميزات الإنترنت، لأن أبيه قال له :

-أول مرة في حياتي، أعلم أن في الدنيا هناك صنف نساء غير صنف أمك.

لا توجد محاضرات جديدة في قنوات الأرض المسطحة، هنا دوى صوت الهاتف يعلن وصول رسائل جديدة.

"مرحبا بك في عالم المغامرة و الاستكشاف"، العنوان وحده جعله يتجاهل ما يفعله و ينقر على رسالة التنبيهات التي تحمل هذا العنوان، لتذهب به إلى تطبيق البريد الإلكتروني و تفتح الرسالة، رسالة بسيطة و مختصرة، تشكر له اهتمامه بما تم عرضه وتطلب منه نقر الرابط التالي أو الذهاب إلى متجر نظام التشغيل في الهاتف و تحميل تطبيق بعنوان "ما وراء الحقيقة"، نقر الرابط بسرعة متجاهلا مخاطر فتح الروابط الغير موثوقة المصدر، الطريق الأسهل والأسرع لاخترق أنظمة التشغيل.

لكن الرابط نقله إلى متجر نظام التشغيل، وخاصة صفحة البرنامج المقصود، وصف البرنامج يدل على أنه اختبار في مادة الجغرافيا. قام بتحميله في وقت وجيز، ثم تركيبه وفتحه، الشاشة الترحيبية للبرنامج تخبره أن هذا امتحان حول نظريتي كروية الأرض وتسطحها، و تطلب منه الإلتزام بالوقت المحدد لكل سؤال، و سيتم تجاهل السؤال و إعطاءه الدرجة صفر عنه في حالة الإجابة

الخاطئة أو أنه أغلق البرنامج ، وأن يضغط الزر البدء كي يبدأ الامتحان.

ضغط زر البداية، ليبدأ سيل الأسئلة، كانت أسئلة متنوعة و في أغلبها اختيار من متعدد والآخر اختيار بين صح و خطأ و القليل أسئلة تقريرية، لم تكن الأسئلة منحازة إلى نظرية الأرض المسطحة كما كان يتوقع، بل كانت متوازنة و تسأل عن تفسيرات المناخ و الفصول وحركة الشمس والليل و النهار و الظل و حركة النجوم، تارة يطلب تفسيرها تبعا لنظرية الأرض الكروية و تارة حسب نظرية الأرض المسطحة، ثم اختتم بسؤاله عن أشياء عامة و دينية وعن هواياته و مهاراته البدنية وهل انهى الخدمة العسكرية، و بعد ذلك جاء السؤال الأخير "في ضوء إجاباتك السابقة، و قناعاتك الخاصة، هل تعتقد أن الأرض كروية أم مسطحة؟ "

هنا توقف (عاصم)، توقف ليس لأنه لا يعرف الإجابة التي يؤمن بها، بل لأنه يعرف أن الإجابة ستؤثر على مصيره، توقف ينظر للسؤال وكأنه كُتب بلغة لا يفهمها، و نظر إلى عداد الوقت

التنازلي، الغريب أنه متوقف، كأن من وضع الامتحان يعطيه الوقت الذي يكفي لإجابة السؤال.

بحذر و تردد ضغط على "كروية" ، في هذه اللحظة شعر أنه يخون نفسه، رغبته في الهروب من هذا البلد.. من المستقبل الذي يجهله، جعلته يخون نفسه.. أفكاره.. معتقداته.. كلا.. إنها مسطحة.. مسطحة و لا شك في ذلك، بسرعة نقر على "مسطحة" لتصير هي الإجابة، و ضغط زر "التالي"، الصفحة التالية كانت رسالة شكر على وقته واهتمامه و وعد بالرد في أقرب وقت ممكن، و أغلق البرنامج نفسه تلقائيا.

نظر (عاصم) إلى ساعة الهاتف، وجدها الثالثة صباحا، أي أنه استغرق أكثر من أربع ساعات في ذلك الامتحان، وبقيت قرابة ساعة حتى الفجر، هل ينام؟ كلا سيكون الاستيقاظ بعد ساعة صعبا جدا، و أبوه ينزعج بشدة من المماطلة في الاستيقاظ لصلاة الفجر، سيشاهد شيئا ثم ينام بعد صلاة الفجر.

و لكن كما نعلم جميعا، الشيطان لعين و لن يذهب إلى النار بدون تعب أو بئس بئس، و الليل نهاره و ملعبه، لذا كما نتوقع استنطاب النوم في جفني (عاصم)، حتى صارا جبلين لا يستطيع أن يفرقهما.

- (كمشة) يا (عاصم) يا حبيبي، (كمشة) هو اسم الشغل و الشهرة.

يا سلام..

- ضاقت بك الدنيا و لم تجد سوى (كمشة).

- لا لا يا (عاصم) يا حبيبي، (كمشة) لأنني (أكمش) في الشغل و لا

أتركه حتى التمام.

- يا عيني يا (كمشة)!

طبعا (كمشة) متزوج و ينتظر مولوده الأول قريبا، ووضعه المالي

يمكن اختصاره في (مستورة و الحمد لله)، في حين أنهى هو

دراسته الجامعية و ينتظر من يقول له "تعال يا روح أمك، نحتاجك

في عمل"، طبعا لا داعي لذكر الزواج و ما يحتاجه من شقة و

مهر و تكاليف ، أنه لا يستطيع ذكر هذه الأمور لوالديه، يكفيهم ما

هم فيه، يا الله! لو ينجح موضوع الرحلة، فرصة.. فرصة كبيرة

له.. كم عدد المتقدمين؟ لا شك أنه كبير، حتى لو نجح.. من أين

يأتي بتكاليف السفر؟

هل الموضوع جاد؟ أم أنه دعابة؟ ستكون دعابة ثقيلة جدا،

برنامج الامتحان نفسه يحتاج إعداده مجهودا عظيما، لا يمكن أن

يكون من باب الدعابة، لكن مسألة نجاحه و قبوله هي المسألة
التي يجب أن تشغله.. يا رب يسرها.. يا رب.. فرج قريب..



2- اللعبة

انهمك (عاصم) في مباراة ساخنة مع والده، هذا هو الهدف الرابع يا (أبا عاصم)، هنا قُطعت المباراة بالاتصال القادم لتجنب نافذة الاتصال نافذة اللعبة، كان المتصل أبوه، ضغط (عاصم) زر قبول الاتصال وهو يقول بلا تأنى:

-البرنامج من يضع القواعد و القوانين يا حاج و لست أنا.

أوشك صوت أبيه أن يفجر الهاتف و هو يصرخ :

-أخبر هذا البرنامج الملعون أن الحركة صحيحة يا ابن الذين آمنوا.

كيف يخبر البرنامج أن حركة أبيه صحيحة، و لكنه قال:

-يا أبي أنت من ضغطت زر عرقلة اللاعب و الحكم (كمبيوتر) و هو من جعلها ضربة جزاء.

-الملعون كان يمنعني من الرمي إلى الشبكة، ثم هناك زر للعرقلة

و لا يوجد زر لضرب الحكم، كيف؟ هذا جنون؟

- أعصابك يا حاج، دع هذه المرة تمر.

-أنت تقول أنا و أنت لاعبان حقيقيان فقط و الباقون يتم تحريكهم

بـ(الكمبيوتر)، بأي حق صارت له ضربة جزاء؟

- يا حاج هذه محاكاة للعبة كرة قدم حقيقية، لم يكن عليك عرقلة اللاعب.

- اسمع يا ولد، ليس لأنك تفهم في (الكمبيوتر) يعني أنك تستطيع خداعي، أنا أفهم منك و من مليون (كمبيوتر)، اسمع يا ولد، لن العب حتى يتعلم هذا (الكمبيوتر) الأخلاق.

و أغلق أبوه الهاتف و ابتسم (عاصم)، يبدو أنه تسرع حين أدخل أباه عالم التكنولوجيا، قام بحفظ اللعبة إلى أن يهدأ أبوه و يطلب منه مواصلة اللعب.

الساعة الآن الخامسة عصرا، مواعده مع (كمشة) في الخامسة و النصف في قهوة المعلم (جعورة)، ليخرج الآن من البيت قبل أن يهدأ أبوه و يطلب إكمال اللعبة.

ما هذا المال القليل؟، إحساسه بالظلم و الخداع جعله (عاصم)

سؤالا، وجهه إلى (كمشة) :

-ما هذا يا (كمولة) يا حبيبي؟

سحب (كمشة) نفسا عميقا من النارجيلة حتى أوشك أن يبتلع

النارجيلة ذاتها و قال:

-شغل يومين يا (عاصم).

-هذا شغل يومين يا (كمشة)، هذا شغل نصف يوم.

-(عصومة) حبيبي، أنا أعطيك أكثر من الصبي لأنك صاحبي و أنت

عارف أن الشغل عندي بسيط و ليس متعبا.

تمنى (عاصم) أن يقول له أنه مخادع، و لكنه ألجم نفسه حتى لا

يفسد صداقتهما، ووضع المال في جيبه و (كمشة) يقول بعد زفرة

نفس طويلة:

-أعرف أن المبلغ قليل، لذلك يجب أن تجد لك صنعة تعيلك كي

تقف على قدميك يا (عصومة)، أمامك مستقبل و بيت و زواج.

أخذ (عاصم) يحاول إبعاد الدخان عن وجهه و هو يقول :

-أنت تقول لي؟ أنا أعلم المقرر كله، لكن أين هي الصنعة؟

نفس عميق جدا، إن عاش (كمشة) سنة أخرى بدون سرطان

الرئة فهو من معجزات الدنيا، ثم نفثه ببطء.. باستمتاع.. بنظرة

عشق في عينيه و قال :

-موجودة، لكن.. اترك موضوع الشهادة، هات يدك.

مد (عاصم) يديه و هو لا يعلم السبب، و نظر (كمشة) إليهما و
قال:

-مُنْتَهَى الْجَمَالِ.

آخر جمال؟ نظر (عاصم) إلى يديه المتشققتين و أظفاره السوداء
و الخدوش عليهما جراء العمل الشاق مع (كمشة) و سواه، مُنْتَهَى
الجمال؟.. المهم..

قال (كمشة) بعد أن أخذ رشفة طويلة - كل شيء يفعلُه (كمشة)
يجب أن تكون صفته طويل أو طويلة - من الشاي:

-الآن نحتاج اسم شغل، اسم حين يسمعه الناس يعرفون إنك
صاحب صنعه فعلا.

قال (عاصم) بسرعة :

-(عصومة).

ضحك (كمشة) و لكن يبدو أن الضحك و الشاي لا يجتمعان، فقد
أوشك على الاختناق، وقال وهو يكح:

-لا، لا، لا، (عصومة) اسم تدليع لا يصلح في العمل، سيحسب
الناس أنه لقب لولد صغير وليس صاحب صنعة.

وصمت (كمشة) و هو يفكر، و ترك الشاي و عاد إلى النارجيلة،
طبعا.. التفكير العميق يحتاج إلى يذكي خلايا المخ بالنار، حتى
تكون الأفكار ناضجة و عميقة.

بعد أن أشعل مخه نارا و هرب صدره من الدخان، قال (كمشة) :
-(عمصة).. اسم الشغل (عمصة).

(عمصة) ؟ (عاصم) صار (عمصة).. لا إله إلا الله.. لا حول ولا
قوة إلا بالله.. لكن.. (عمصة) أفضل من (عاصم) ألف مرة...
(عمصة) يملك صنعة.. (عاصم) يملك ورقة تفر أنه حاصل على
شهادة في الحاسوب.. (عمصة) صنعته تجلب المال.. (عاصم)
ورقته تصلح للشطائر.. (عمصة) الناس تحتاجه.. (عاصم) يحتاج
الناس.. (عمصة) سيكون قادرا على شراء شقة أو استئجارها
على الأقل.. (عاصم) لن يستطيع تأجير درجة سلم تؤدي إلى
شقة.. (عمصة) سيكون قادرا على تكاليف الزواج.. (عاصم) غير
قادر على الزواج من عروس بلاستيكية.. الأمور واضحة و
محسومة، ليسقط (عاصم) و ليحيا (عمصة)..

-(عمصة) يا (كمشة)، الناس ستحسب أنني لا أرى عملي بسبب
(العصص) في عيني، ألا يوجد اسم آخر؟

أمسك (كمشة) النارجيلة بيساره لأن يمينه تمسك كأس الشاي و
قال :

-لا يا حبيبي يا (عصومة)، (عمصة) تعني أنك لا تترك العمل حتى
تكمله وإن ظهر في عينيك (العمص)، لقب يدل على الاجتهاد و
والمثابرة.

- (عمصة) (عمصة) و لكن لا أملك صنعة.

كركركر.. ارحم الرئة يا (كمشة)، نفس طويل يليه زفير بطيء،
ثم يتيه البصر ثم يقول :

-الصنعة بسيطة، في البداية ستعمل صبي مع صاحب صنعة حتى
تعرفها و تعرف الناس ثم تستقل، و أفضل صاحب صنعة هو ابن
أمه.

ابن أمه؟ و هل هناك من هو ليس ابن أمه، لا يوجد أحد - في
حدود علمي- يكون ابن خالته أو ابن عمته أو ابن جدته، جميع
الناس ابناء أمهاتهم، غريبة! لكن ما علينا.

-من ابن أمه هذا يا (كمشة)؟ كنت أظن أنني سأعمل معك.

-لا، عملي قليل و بسيط و بالكاد يكفيني، أحيانا احتاج لصبي فقط و
ليس عامل، لكن ابن أمه ابن حلال و صاحب شغل كثير و تحت

يديه ناس كثر تعمل لديه، رغم أنه من جيلنا لكنه أفضل منا جميعا، عمل ممتاز.. أخلاق عالية.. أجور مناسبة، ينجز العمل و الجميع راضي عنه، من الزبون إلى العمال إلى كل الناس، لذلك استحق لقبه ابن أمه، و هذا اللقب لا يناله في عملنا إلا قلة قليلة جدا و لكن.

طبعا هناك لكن.. الكلمة الاستدراكية في كل لغات العالم، لا بد منها في قواميس اللغة.

الآن دور الشاي، رشفة طويلة.. طويلة.. طويلة.. لم يبق سوى ربع رشفة للمرة القادمة، إذن لن تكون هناك طويلة المرة القادمة، و أكمل (كمشة) كلامه :

-الشاب معه عقدة نفسية من الشهادات، لذلك لا تخبره أنك حامل شهادة جامعية، أنت معك شهادة ابتدائية فقط، و لكنك مثقف، تشاهد الأخبار و تفهم الدنيا، إذا عرف إنك صاحب شهادة، ستكون ظروفك معه صعبة جدا و الطرد وارد جدا.

قال (عمصة) - أنس (عاصم) تماما- في مرح:

-لماذا؟ لأنه لا يحمل شهادة كأمثالنا؟

باحترافية يندر وجودها أمسك (كمشة) النرجيلة - نعم الآن دورها
- ونظر إلى (عمصة) و هو يأخذ نفسا طويلا - جدا جدا - دون أن
تفارق عيناه وجه (عمصة)، ثم زفiiiiiiiiير بتأني.. بتمهل..
بهووووو وء تااالم وقال :

-ثلاث بكالوريس.. عشر ماجستير.. سبع دكتوراه.

هنا صرخ (عمصة) و الدهشات تتلاقفه:

-ماذا ؟

كان (كمشة) في قمة السرور لأنه جعل (عمصة) ينفعل و قال :

-الشاب مخه نظيف و في الآخر عرضوا عليه وظيفة مساعد
مهندس زراعي في الصحراء، و هو لا يعرف الزراعة و لم
يدرسها يوما.

هنا رن هاتف (عمصة)، نظر إلى رقم المتصل فوجده أباه، وضع

الهاتف على أذنه وهو يضغط زر قبول الاتصال و يقول :

-السلام عليكم ورحمة الله يا والدي.

الوالد :

-أين أنت يا (عاصم)؟

-مع صاحبي، نحاول تدبير عملا.

-يا سلام يا أخي، أنت عارف أن أمامنا مباراة قوية، انجز بسرعة
و تعال كالصاروخ.

-حاضر يا كبير، إن شاء الله نصف ساعة تقريبا و سأكون عندك.

وضع (عمصة) الهاتف في جيبه و هو يقول لـ(كمشة) :

-الحاج، أطال الله عمره.

هز (كمشة) رأسه فهما و تفهما وأمسك بكأس الشاي و أخذ رشفة
طوييييلة، غريبة! من أين أتى بها و ليس في الكأس سوى ربع
رشفة!..!..!

ثم قال:

-هه.. ماذا قلت؟

-عن؟

-سأتكلم مع ابن أمه عنك.

-تكلم مع ابن أمه و ابن جدته، المهم أن نعمل.

-تمام، أرد عليك بعد يومين.

-ساعة ستكون أفضل.

الرحمة يا أخي.. الرحمة يا ابن الناس.. أنت تسحب نفسا أم تريد
وضع المقهى كله في صدرك.. لكن (كمشة) كان جبارا، الطريق

إلى سرطان الرئة و الحنجرة و الشفتين ليس سهلا، يحتاج إلى كفاح و صبر و مثابرة، يحتاج إلى تضحية، و بعد أن نفت النفس العميق و امتلأ المكان بعاصفة من الدخان و زاغت عينا (كمشة) في عالم آخر يراه و لا نراه، ثم قال:

-الشاب مشغول جدا، و لا بد من الجلوس معه لوضعه في الصورة و أيضا أوصيه بك خيرا.

-رجل ابن رجل يا (كمشة)، لكن عندي سؤال.

نظر له (كمشة) و هو يستعد لنفس جديد، و قال (عمصة) :

-النارجيلة ؟ وكالة أم تحدي أم إجازة مخ؟

سحب ثم نفت بإحترافية ثم زاغ البصر و هو ينظر إلى جهة (عمصة) ثم قال:

-وكالة عن أمة "لا إله إلا الله".

الساعة الآن العاشرة، و (عمصة) في فراشة يشاهد الأخبار، لم يكن هناك جديد، الهم و الغم و الحروب و المشاكل في كل بلد و في كل مكان من بلاد العرب و المسلمين، و غدا يوم آخر مع ابن أمه، كان شابا محترما و مساعدا ، و لكنه يدقق في كل شيء، لا

يهمه إنجاز العمل بقدر كيفية إنجاز العمل تبعاً لأفضل الطرق، و الأجر الذي يعطيه أفضل من (كمشة) و أقل من المطلوب، و لكنه كما وعد "هذه البداية فقط" ..

قطعت أفكاره و مشاهدته نافذة التنبيهات في هاتفه و نصها يقول "أهلاً بك في عالم المغامرة و المخاطرة من جديد"

أكثر من ثلاثة أسابيع انقضت منذ ذلك الامتحان، حتى ظن أنه فشل في الامتحان أو أن المتقدمين كثر و فاته الدور، ثم تأتي هذه الرسالة لتعيد إليه الأمل.

انتقل إلى البريد الإلكتروني ليقراً الرسالة، و مرة أخرى تنزيل برنامج آخر، كلا.. هذه المرة الأمر مختلف، أنه لعبة، لعبة أشبه بلعبة المغامرات الشهيرة التي تقوم بها فتاة، اللعبة تخبره أن هذه محاكاة و أن اتخاذ القرار فيها مرهون بوقت محدد أو ستختار اللعبة القرار بنفسها، اضغط زر "التالي" لتبدأ.

بدأت اللعبة برجل ينحدر بقوة على منحدر جليدي، و تعليمات في أعلى الشاشة تخبره كيفية التحكم في بطل اللعبة، أخذ (عمصة) يحاول إبطاء اندفاع البطل، حتى ظهر أمامه هوة عميقة و حبل يمتد بشكل مستقيم من الحافة القريبة للهوة إلى الحافة البعيدة

للهوة، و لكنه يبتعد عن يسار البطل خطوتين، في نفس الوقت اندفعت طائرة مروحية أمام البطل، هنا ابطأت اللعبة و ظهر مؤشر للوقت يعد تنازليا، و يطلب من اللاعب أن يختار بين المروحية أو الحبل أو الهوة، بسرعة اختار (عمصة) المروحية ليبدأ مشهد جديد و لكن داخل المروحية و استمرت اللعبة بين خيارات أو أحاجي حتى انتهت إلى الصراع النهائي مع وحش النهاية، وهو المشهد التقليدي في أكثر الألعاب.

كانت لعبة قصيرة جدا، انتهى منها خلال أربعين دقيقة، ولكن بدلا من ظهور أسماء فريق العمل في النهاية، ظهرت قائمة من الأسئلة مع طلب بضرورة الإجابة في الوقت المحدد.

*لماذا اخترت المروحية بدلا من الحبل؟

*لماذا اخترت الاستسلام بدلا من القتال و السيطرة على المروحية؟

أسئلة حول قراراته و اختياراته في اللعبة، و كالعادة في النهاية تم شكره على اهتمامه مع وعد بالرد قريبا.

أغلق الهاتف وأوسد رأسه إلى كفيه وراء رأسه، لقد عاد الأمل ، و لكن هل هو أمل صادق أم كاذب؟

3- مصر

نظر (ابن أمّه) إلى عمل (عمصة) و الرضى يسترق النظر من عينيه، و قال :

-تسلم يداك يا (عمصة)، غيرك يحتاج شهرين حتى يفهم الشغل و أنت في أسبوعين صرت معلما.

لم يتوقف (عمصة) عن خلط مؤنة البناء و هو يستمع إلى (ابن أمّه)، و قال:

-كله من فضل الله ثم فضلك يا معلم.

لا، (ابن أمّه) ليس كما تتخيله، كان شابا أسمر و نحيف و يضع نظارة طبية، يرتدي ملابس ملطخة بكل ما هب و دب من الأصباغ و الأسمنت و سواهم.

شاب هادئ الملامح، ملامحه تخبرك بأن فيه نبل و أخلاق، هذا ما يبدو منه فإن كان غير ذلك فالله أعلم به.

قال (ابن أمّه) و هو لا يزال يتفقد ما انجزه (عمصة) بنظره:

-إن شاء الله، الأسبوع القادم سأوكل إليك بعمل تنجزه كاملاً
بنفسك.

وضع (عمصة) مؤنة البناء في قفّة و قد أسعده كلام (ابن أمّه)،
و استقام و هو يقول:

-شكراً يا معلم، و إن شاء الله ستجدني من أفضل العمال عندك.
ابن أمه و هو ينظر من النافذة :

-أنت ابن حلال و إن شاء الله ستنجح في عملك بسرعة.

و (عمصة) يضع مؤنة البناء في مواضعه :

-الشغل معك يا معلم أفضل من ألف جامعة و شهادة، تدرس
وتتعب و في الآخر تجلس في البيت.

زلة لسان، زلة لسان.. زلة لسان لم ينتبه لها (عمصة) إلا حين
سمع حشرجة صوت (ابن أمّه) يقول :

-أنت خريج جامعة؟

فالتفت إليه (عمصة)، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ما هذه

الخلقة؟ هذا وحش أم غول؟ لم يبق من (ابن أمّه) شيء يذكرك به

قبل هذا التحول الرهيب، و هنا بكل حوله و قوته قال (عمصة) :

-لا يا معلم، لا لا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أعوذ بالله، أي جامعة و أي شهادة؟ ، أعوذ بالله، أنا أقصد أننا أحسن منهم، أصحاب الشهادات، هو يدرس و يتعب و يجلس في البيت كالنساء، وأبوه ينفق عليه، لكن نحن نختلف، نحن رجال، ندخل في العمل فوراً دون شهادة، و نصبح أفضل منهم.

استمر المشهد على حاله برهة حتى بدأ (ابن أمه) يعود لآدميته و لكن الشك في عينيه لم يزل و يمنعها من العودة لطبيعتها و قال في صوت ذئب متحشرج لو أن الذئاب تتكلم:

-هل أخبرك أحد عني شيئاً؟

(عمصة) وكلماته تفترس بعضها :

-كل خير يا معلم، كل خير، ابن ناس و صاحب صنعة.. - تررن..

تررن..- و أخلاق عالية، كل خير - تررن.. تررن.. -

استمر (ابن أمه) يحدق إليه برهة و كما تفعل الوحوش استدار و ترك المكان، والهاتف يواصل الرنين.

كلا.. ليس جباناً.. ولكن الحياة صعبة.. وفرص العمل قليلة.. و

(ابن أمه) أفضل الخيارات المتاحة لو تجاهلنا مسألة التحول

الوحشي.

زفر (عمصة) و التقط هاتفه، رقم دولي؟ المتصل من خارج البلاد؟
من له خارج البلاد؟ كل من يعرفهم معه هنا، ليس في الدولة بل
في مدينته و ضواحيها، رفع الهاتف إلى أذنه وهو يضغط زر قبول
الاتصال.

-السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الأستاذ (عاصم همام)؟
صوت هادي رزين لرجل يتأكد من صحة قناة الاتصال، هذا يعني
أنه المقصود، إذن؟ ليجب:

-و عليكم السلام ورحمة الله، صحيح يا أستاذ.
-معك الدكتور (مختار عرابي) المسؤول عن مسابقة اختيار
المستكشفين.

كلماته أشبه بماء بارد غسل الشك و الغيظ من صدر (عمصة)، و
غمره الارتياح رغم أنه لا يعرف سبب الاتصال.
-أهلاً و سهلاً يا دكتور (مختار).

-ألف مبارك يا أستاذ (عاصم)، لقد نجحت في جميع الاختبارات و
تم اختيارك..

لم يسمع (عاصم) باقي الكلمات و الفرحة تحمله فوق السحاب و
ترسم له أحلى الأحلام و...

-أستاذ (عاصم).. أستاذ (عاصم).. هل لازلت على الخط.. ألووو

-نعم يا دكتور (مختار)، نعم اسمك، معذرة، الخبر أسعدني جدا.

الدكتور (مختار) و هو يضحك :

-أعرف شعورك يا أستاذ (عاصم) ، ولا أريد أن أخيب أملك و لكن

تبقى امتحان أخير لاجتيازه.. اختبار القدرات و المهارات البدنية.

- اختبار آخر؟

-الاختبار الأخير يا أستاذ (عاصم) ، المهم الآن، هل معك جواز

سفر؟

-جواز سفر؟ الحقيقة.. لا.

-كم من الوقت تحتاج لاستخراجه؟

-احتاج أسبوعين إلى شهر.

-رائع، سأرسل لك رسالة على بريدك الإلكتروني حتى تعرف

بريدي، و عند حصولك على جواز السفر تخبرني عن طريق

البريد، موافق؟

-بالتأكيد يا دكتور (مختار).

-الآن سأنهي الاتصال و سانتظر منك الرسالة، أي خدمة أو

استفسار يا أستاذ (عاصم).

-سؤال واحد يا دكتور(مختار).. عن تكاليف الرحلة.. من..

قاطعہ الدكتور (مختار) و قال:

-حين تحصل على جواز سفرك سنتكلم عن التفاصيل يا أستاذ

(عاصم) ، و بخصوص التكاليف لا تقلق.

جميل.. رائع.. سعادته لا توصف و هو يقلب صفحات جواز سفره،

(عاصم).. نعم.. مع الأسف الشديد يبدو أن (عمصة) سيرجع إلى

اسمه القديم (عاصم).. مع الفخر الشديد و السرور العالي؟ كلا.. لا

أظن ذلك إلا إذا كنت تعرف أكثر مني.

هذا الرائع استغرق ثلاثة أسابيع و كلفه أجرة نصف شهر من

العمل الشاق، الآن عليه أن يجد مكانا يوفر خدمة الإنترنت حتى

يُرسل رسالة إلى الدكتور (مختار)، أنه لا يملك الصبر حتى يعود

لبيته، سار و هو يبحث بعينه حوله، طبعاً وجد كثيرا من الأماكن

و مقاهي الإنترنت، و لكن ثمن الدخول هو كأس شاي على الأقل،

ماذا يعني كأس الشاي؟.. في هذه الأماكن ثمن كأس الشاي يعني

أجرة عمل يوم كامل.

أخيرا وجد المقهى الذي يناسبه، أغلق الباب خلفه و أخرج هاتفه
و أمه تقول:

- ما لك يا (عاصم)؟ رجعت قبل الظهر، أنجزت عملك؟

و أصابعه تتقافز على شاشة الهاتف و عيناه تبحثان عن رسالة
الدكتور (مختار) في صندوق الرسائل:

-اليوم إجازة يا أمي الغالية.

-إجازة؟ و خرجت بدون إفطار.

-مسألة ضرورية و مستعجلة.

- يوجد غلاية شاي، تشاركني؟

-بالطبع يا أمي.

ها هي.. رد على المرسل.. "أستاذ (مختار)، حصلت على جواز
السفر اليوم" و.. إرسال.. ما هذا؟ لا سلام أو تحية.. أستاذ بدلا
من دكتور.. دون سؤال عن الخطوة التالية.. حاول إيقاف إرسال
الرسالة، و لكن البرنامج أظهر رسالة واضحة "تم إرسال
الرسالة"

ما حدث قد حدث.. ليس بالشيء الكبير.. ربما تعتبر فظاظة في
الأسلوب.. أو تعتبر لهفه و تسرع.

مصر؟ تجمع المستكشفين سيكون في مصر؟ لم يتوقع ذلك أبداً،
كان يتوقع الذهاب إلى دولة تقع على الحدود الغربية لإحدى
القارتين الأمريكيتين أو دولة على حدود قارة آسيا الشرقية.. لكن
مصر؟.. وسط العالم كله.. هل أخطأ التصور؟ كان يظن أنه
سيرتحل من حافة العالم الغربية أو الشرقية في خط مستقيم، فإن
وصل للطرف الآخر المعلوم للجميع، فهذا يعني أن الأرض كروية
و ستنتهي الرحلة في غضون أسبوع أو حتى شهر، و إذا سار إلى
أراضٍ جديدة فهذا يفتح الباب واسعا أمام فكرة الأرض المسطحة،
و الاحتمالات جميعها تفتح له الباب لفرص لا تعد.

كيف ستكون رحلة إعادة استكشاف حدود العالم من مصر؟ الانتقال
منها للشرق أو الغرب سيكون مكلفا و سيهدر وقتا طويلا، البدء
من حافة العالم المعروفة أفضل و أسرع و أقل تكلفة.

كانت هذه الأفكار تغلي في رأس (عاصم) و هو يقرأ هذه الرسالة
من هاتفه في حجرته الساعة التاسعة ليلا، الرسالة التي حملت له
هذه المفاجأة، الأمر الجيد أن تكاليف الذهاب و العودة مدفوعة
لجميع ، ذهاب و عودة؟

هل سيتجمعون في مصر ثم يعود كل إلى وطنه؟ لماذا؟ ما هدف التجمع في مصر إذا كانوا سيعودوا؟

هذه الأفكار جعلها أسئلة بعثها في رسالة سريعة للدكتور (مختار). الآن الحديث إلى والديه حول هذا الأمر، كيف سيكون تقبلهم لهذا الأمر، الآن الساعة التاسعة و النصف، لا ريب أنهما يتحدثان في بهو البيت أو يشاهدان شيئاً ما على الشاشة الكبيرة.. لا، لن ينتظر.. سيذهب لهما الآن.

الأمر أكثر من ممتازة، إذا هي ممتازة جداً؟ أكثر من ممتازة فقط و ليس جداً، استقبل والداه الأمر بهدوء و طرحا الكثير من الأسئلة عن ذهابه و سببه و التكاليف، و أخبرهم أنها رحلة لمجموعة من الشباب بغرض الترفيه وأن التكاليف مدفوعة.

طبعاً سر والده و أصبح في قمة السعادة حين عرف أن التكاليف مدفوعة و أنه ليس مطالباً بشئ، و لم يبق له أي اعتراض، أما أمه فلم تعترض على ذهابه أو على الرحلة و لكن اعترضت بقوة على رفاق السوء الذي سيذهب معهم، الذين لا عمل لهم سوى تدخين السجائر و النارجيلة و المخدرات و مطاردة الفتيات

ومصاحبة المانع، و النوم حتى الظهيرة، لا عمل لهم و لا
مصلحة.

غريبه.. كيف علمت أمه بشأن رفاقه قبل أن يعرف هو، هل اتصل
بها الدكتور (مختار) و أخبرها عن أخلاق رفاقه، لابد أن يعرف و

المعرفة تحتاج إلى سؤال:

-أمي هل تعرفين من سأذهب معهم؟

-لا.

-إذا كيف عرفت أخلاقهم؟

-هه..لابد أن أخلاقهم كأخلاق شباب اليوم.

-ااااه.. تقصدين مثل أخلاقي؟

-أخلاقك؟ من في الدنيا مثل أخلاقك، أدب و أخلاق و دين.

-أنا من شباب اليوم يا أمي.

-لا.. لا.. أقصد الشباب الآخرين و ليس أنت، الشباب الشباب

الضائع المانع.

-و لماذا لا يكون الآخرون مثلي؟

-يا بني و هل في الدنيا مثلك، هو (عاصم) واحد فقط.

هنا تكلم أبوه وقال:

-دعیه یدهب و یعیش یومین یا (عزیزة)، إن شاء الله كل رفاقه
أولاد حلال.

شكراً للدعم الفني يا حاج و بسرعة قال (عاصم):

-الله يبارك فيك يا والدي، اسمعي كلامه يا حاجة و قلبك أبيض و
حنون.

لم تجد أمه ما تقوله فقالت:

-اتفقتم علي، اذهب يا (عاصم)، اذهب و بالمره ابحت عن
(عزیزة) ثانية تقول لها يا أمي.

وهو يقبلها على خدها:

-و هل يوجد في الدنيا إلا (عزیزة) واحدة يا عزیزة يا أمي
الحبیبة.

-اسمع كلامك فيعجبني، أشاهد أمورك فاستغرب، و من يحب لا
يترك حبيبه.

-يا أمي، هل سأذهب لآخر الدنيا؟ أنا سأذهب إلى آخر شارعنا،
بجوار بقالة عم (بكر).

-يا عيني، لماذا أنت قريب هكذا؟، اذهب ابعده قليلاً، على الأقل كي
نشواق لك.

-حاضر يا أغلى الغوالي، أمريكا تناسبك؟

-ولد... بقالة عم (بكر) و ترجع.

-حاضر يا ست الكل.

مسكينة.. لا تعلم أنه فراق طويل.. طويل جدا.. و رحلة إلى حدود

لا تعلمها هي.. و لا زوجها الطيب.. ولا أكثر الناس.. لكن دعنا لا

نخبر أحدا بذلك.. حتى (عاصم)؟.. حتى (عاصم).. لا نريد للقصة

أن تنتهي قبل أن تبدأ.





فخامة.. فخامة.. فخاااااااا.. يا أخي دع عنك بيت ابن خالتك..
وبيت ابن عمك.. وبيت ابن جدتك.. أقول لك فخاااااااا.. فخامة
تحتاج مال.. مال كثير.. مال قارون.. باختصار بهو الفندق فقط
يحتاج أن يعمل (عاصم) مع (ابن أمه) ثلاثة قرون و ثلاثة شهور
و ثلاث أسابيع و ثلاث ساعات و ثلاث دقائق و ثلاث ثواني.. حتى
يستطيع شراء الأثاث فقط.. نعم أحصيتها بالآلة الحاسبة.
و هل تعلم ما المصيبة؟ المصيبة أن الفندق الذي يجلس (عاصم)
في بهوه هو فندق ثلاثي النجوم، هذا يعطيك فكرة عن الأماكن
التي دخلها هذا المسكين في حياته كلها.
جاءته العاملة في البهو، طبعاً عاملة، مؤنث و ليس مذكر، تسأله
في لطف إن كان يرغب في تناول شيء ما.
شيء ما؟ النصائح التي تلقاها من الدكتور (مختار) تقول أن
الفندق للنوم فقط، طبعاً.. إذا كانت قارورة الماء التي بالكاد تكفي
شربة واحدة، ثمنها يعادل أسبوع من العمل الشاق، لذلك قال لها
بابتسامة لطيفة "شكراً"

لننتظر قليلا حتى يهدأ وجيب قلبه و تعود له أنفاسه، ويستعيد بصره، حسبنا الله و نعم الوكيل في كل من اسمها (حسنية).

جارته تريد أن تزوجه ابنتها (حسنية)، المسكين لا يعلم أن (حسنية) لا بأس بها، ولكن لن تبلغ ربع جمال هذه. و الحقيقة أن (حسنية) أجمل من هذه ألف ضعف، لكن المسكينة (حسنية) لا تملك المال لشراء الأحمر و الأخضر و الأزرق و باقي الألوان والذهب كل يومين إلى مصففة الشعر و طبعا الذهب لصالة الألعاب الرياضية مرتين في الأسبوع، المسكينة الألوان التي تحصل عليها الأبيض حين يتناثر ماء الغسيل برغوته البيضاء على وجهها، و الأسود حين يتطاير الهبو عليها، أحيانا تحصل على الأحمر من الطماطم و الأخضر من الخيار، و رياضتها الصلاة والعجن و الطهو و الغسيل و الطعام، و مصففة شعرها هي أمها حيث تغسل لها شعرها بالزيت.

طبعا (عاصم) كأكثر الشباب لا يعلم الفرق بين التقية النقية المجاهدة التي تبني البيوت وبين التي هي مجرد زينة لا قيمة لها باستثناء جمالها فقط .

مع الأسف لا يفيق أكثرهم من هذا إلا متأخرا، حين تذهب السكره و تأتي الفكرة و يعرف الفرق بين (سوسو) و (سعاد) و لا يهم الفرق بين (ق) و(ك) و(ء) في الكلام، و لا يهم الفرق بين أحجام الصدور بقدر اتساع القلوب، ويدرك حين يفيق أن أطفاله يحتاجونه أبا و أما وحاضرا داخل البيت و خارجه لأن اللؤلؤة مشغولة بآخر صيحات الموضة و المسلسلات و الفنانة فلانة التي قامت بزيادة حجم... احم(+70)¹، ليت هذا الأحمق يفيق قبل فوات الأوان، لكن نظرة هذا الأحمق تخبر أنه سيفعل هذا الخطأ، أحمق..

تأمل (عاصم) في من حوله في بهو الفندق، كان هناك أسرتان مع أطفالهما و خمسة شبان و قد وضع كل منهم حقيبته بجواره كما يفعل، اثنان منهم حضرا معه من المطار إلى الفندق بالأمس، و يبدو أن أحدهم من الجزائر و الآخر من اليمن، أما الباقيون فلا يعلم عنهم شيئا.

¹ تم حذف الكلمة لأنها فقط لمن هم في السبعين فما فوق.

لقد نام الليلة نوما عميقا، واستيقظ مع الفجر مفعماً بالحيوية والنشاط في حجرة واسعة وحده بدون (سامح)، لا ريب أن (سامح) مسرور بدوره، ويدرس بصوت عالٍ.

تمنى أن لا يتأخر الدكتور (مختار) عن مواعده، لقد شارفت الساعة على العاشرة.

العاشرة وثمانٌ وخمسون دقيقة..

العاشرة وثمانٌ وخمسون دقيقة..

العاشرة وثمانٌ وخمسون دقيقة..

أنها لا تتغير ابداً..

هل تعطل الهاتف؟ ..

الحمد لله..

العاشرة وتسع وخمسة..

-الاستاذ (عاصم)؟

رفع رأسه عن الهاتف ليجده أمامه، تماما كما في الصورة المرفقة مع رسالته الأخيرة، الدكتور (مختار) بلحيته الكثة و نظارته و ملامح قاربت الخمسين.

ملهوفا نهض (عاصم) و هو يمد يده ليصافح اليد الممدودة إليه
ويقول :

-صحيح، الدكتور(مختار) ؟

بملاح مرحة وابتسامة واسعة تشي بنفس كريمة:

-إن لم أكن فالصورة مزيفة.

الارتياح و السرور انتزعا ضحكة كبيرة من صدر (عاصم)، ووجد
انه و الدكتور (مختار) محاطين بالشباب الخمسة، و هم يتبادلون
التحيات و يقدمون أنفسهم.

- (حذيفة)، موريتانيا.

- (عبد الرحمن)، الجزائر.

- (فتحي)، اليمن.

- (محمد)، مصر.

- (عمر)، العراق.

- (عاصم)، بلاد الله الواسعة.

نظر إليهم الدكتور (مختار) و تحقق منهم جيدا، و رسم وجهه
سؤالا "مستعدون؟"، و ردت عليه رؤوسهم بالإيجاب.

4-الضياع

- الفندق كان ضروريا حتى يسهل عليكم الوصول و اللقاء، لكن الإقامة فيه مكلفة للغاية، و أمامنا رحلة طويلة تحتاج تكاليف ضخمة، لذلك الإقامة في شقة ستكون أفضل و أوفر.

قال الدكتور (مختار) تفسيره لمسألة الفندق و هو جالس بجوار السائق في الحافلة الصغيرة التي تتسع إلى اثني عشر راكبا، وهي تنطلق بهم في شوارع القاهرة إلى الشقة.

هنا وجد (حذيفة) أن الكلام المهم الآن مقامه، فقال بما يدور في باله بالعربية الفصحى :

-أنني آراه قد ناء بحمله.

التفت إليه الجميع باستثناء السائق، و نصف التفاته من الدكتور (مختار)، و لم يسأله أحد ماذا يعني، ولكن وجوههم أخبرته أن أكمل يا هذا، فأكمل:

-جبال من المال تقسم ظهره، بالحب قال خذوه، لي مهلكة و للعالمين هداية، فسألتكم وفي القلب لهفة، من هو؟

كلا، لم تتغير تعابير وجوههم و لم تستدر، لا تزال تنظر إليه و

تسأله بدون كلام، ماذا تقول؟

هنا حك (فتحي) قمة رأسه في حيرة و الحيرة في قلبي أنا، وقال:

-أخي.. أتتكلم العربية؟

امتعض (حذيفة) و كيف لا يمتعض، أبعده العربية العربية

أخرى، فقال موضحاً:

-سألت الضاد عن أنيسها، نادى و بالعشق ما لي سواك.

هنا حك (عمر) قمة رأسه بدوره وقال:

-وبالعشق ما لي سواك!

هنا يجب أن يتكلم (عاصم) ، و لا داعي لحك قمة رأسه، حك

وجنته من باب التجديد و قال:

-هل تقول شعراً؟

قال (عبد الرحمن) وهو يحك ذقنه، يبدو أن الجرب أصابهم أو أن

هناك أمر لا نفهمه جميعاً:

-لا أظن ان هذا شعراً.

من باب رحمة الله بنا و بعموم خلقه، أنطق الله الدكتور (فتحي) :

-هل تسأل من يمول هذه الرحلة؟

أوشكت الدموع أن تطفر من عيني (حذيفة) و بالسرور قال:

-قرأت قلبي والكلم شروح و فهمت مرادي و العين فضوح.

لا حول ولا قوة إلا بالله، كلا.. لا يوجد تغيير في المشهد، عيون

الخمسة لا تزال مسلطة على وجه أخينا الموريتاني، و لكن (عمر)

حرك المشهد قليلا:

-أتمنى أن تسألني يوما عن الطريق إلى المرحاض.

و أنا كذلك أريد أن أعرف، طبعا الدكتور (مختار) كان سعيدا و

يضحك و يقول:

-الرحلة يتم تمويلها من قبل جهات تؤمن بالأرض المسطحة مع

جهات تؤمن بكروية الأرض، لإنهاء الجدل حول هذا الموضوع،

الاتفاق بين الطرفين يتضمن تفاصيل كثيرة لا تهمننا كعلماء أو

مستكشفين، و لكن تههم كثيرا من نواحي مادية.

هنا تكلم (محمد) الذي طال صمته حتى نسيته:

-و على ماذا سنحصل نحن من هذه الرحلة؟

-المجد.

انطلقت الكلمة كالفذيفة من بين شفتي (فتحي)، و يبدو أنها مؤثرة

جدا حتى انها هزت الباقيين فكرروا خلفه:

-المجد!

طبعا في عصور ما قبل الإنترنت كان المجد يأتي أولا ثم المكاسب
المادية، بل أن أكثر الحالات يكون المجد سببا في جلب المكاسب
المادية.

لكن في زمن الإنترنت! يا عيني، المال يأتي أولا و أخيرا و ما
بينهما، لا أظن أن المجد سيطعم أحدنا لقمة.. جعانا.. خذ شطيرة
مجد.. عطشا.. هك قارورة مجد.. إيجار البيت.. ثلاث قطع
مجد.. يا عيني..

رفع (عمر) سبابته و قال:

-المجد.. نعم المجد.

لابد أن يكون بينهم عاقلا، هؤلاء سيخربون القصة في بدايتها، و
الحمد لله تكلم (عاصم) و قال :

-المجد أمر عظيم، و لكن نحتاج أن نأكل و نشرب و نبني بيوتا و
نتزوج.

استحسن (محمد) حديث (عاصم)، هذا هو الكلام.. هذا هو العقل..
الآن عليه أن يعزز موقف (عاصم)، لذلك سيقول:

-ما يقوله (عاصم) هو الصحيح، المجد أمر عظيم و لكن المال من ضروريات الحياة اليومية.

كان الدكتور (مختار) في عالم آخر، حيث تلعب الحملان مع الذئب و تلتقط العصافير الحب من أيدي العابرين، لأنه لا ينفك يبتسم و يضحك من حديثهم -معنويات عالية جدا- و قال :

-لا تقلقوا، كل الأمور معدة جيدا، و لدي مفاجأة جميلة لكم، و لكن في البداية يجب الاطمئنان لقدراتكم و لياقتكم البدنية.
خرجت الحافلة الصغيرة من المدينة المزدهمة إلى مناطق رحبة، حيث أخذت المنازل تتباعد و الأشجار تتزاحم و الخضرة تطل برأسها.

توقفت السيارة أمام بناية من أربعة طوابق، و قد احاطتها حديقة صغيرة، و قال (مختار) - أعتقد أن الجميع عرف أنه دكتور - :
-هذا مسكننا في الأسبوعين القادمين.

جاء رجل خمسيني يركض من مدخل البناية و هو يرحب بهم، و يبدو أنه يعرف الدكتور (مختار) جيدا ، لأن هذا قال ليعرفهم به:
-(عوض)، بواب و هو المسئول عن تلبية طلباتكم.

حاول (عوض) أخذ حقائبهم و لكنهم اصروا على حملها بأنفسهم،
و مضى يتقدمهم إلى شقة في الطابق الثالث.
البنية في حالة ممتازة من النظافة و الترتيب و شقتهم مجهزة
لاستقبالهم، و قد فُتحت النوافذ للتهوية، و استغرقوا نصف ساعة
لتقسيم غرف النوم و وضع حقائبهم، في حين جلس الدكتور
(مختار) يتحدث مع البواب في البهو، وانضموا إليه بعد أن
فرغوا.

نهض (عوض) ليغادر و هو يبدي استعداده لتلبية طلباتهم.
بجدية هي ربما لأول مرة تظهر على وجه الدكتور (مختار) منذ أن
قابلوه، قال:

-من منكم يؤمن بالأرض المسطحة؟

بحذر كأن هناك شرك أو شيء ما رفع (عاصم) و (عمر) و
(فتحي) أكفهم.

و الجدية تتشبت بملامحه قال الدكتور (مختار) :

-رائع، الرحلة تحتاج إلى تنوع و اختلاف في التصور، الآن إلى
النقاط الهامة.

- (عاصم) (عاصم) أصح يا أخي، (عاصم) (عاصم).

من هذا الذي يوقظه، أنه لم يأخذ كفايته من النوم... فتح عينيه ليجد (فتحي) و(محمد) و(حذيفة) و(عبد الرحمن) و(عمر) ملتفين حوله وعيونهم عليه، الغريب أن ضوء النهار يبدو واضحاً و يخبر أن الوقت يدنو من الظهيرة، كيف لم يستيقظ لصلاة الفجر؟ هل كان متعباً لدرجة عدم الاستيقاظ لصلاة الفجر؟ و ماذا هناك يستوجب إيقاظه؟ أنه يذكر السهرة الممتعة مع الدكتور (مختار) والشباب، لقد كانت رائعة.. هنا وجد ورقة بيضاء مثل التي تستخدم في الطابعات المكتبية يمسكها (محمد) بين يديه و يضعها أمام وجه (عاصم).

"سامحوني و شكراً على الهدايا يا حلوين.."

مختاركم للخدمات السريعة..

وززززززز

وززززز؟.. ما وززززز هذه؟.. آآه.. تعني مؤثر صوتي كناية عن

السرعة.. كلام جميل.. يبدو أن الدكتور (مختار) رجل أعمال..

- هذا شرب المحيط الهادي بأكمله بالأمس.

هذه من (عمر)، في حين أمسك (فتحي) كتفه و شرع يهزه و هو يقول:

-أفق الله يهديك، انظر للمصيبة التي نحن فيها.

سمع صوت (عبد الرحمن) يأمرهم بأن يفسحوا، ليجد كأس من الماء البارد يُصب على وجهه و (عبد الرحمن) يقول:

-بسم الله الرحمن الرحيم.

اعتدل في فراشه وهو يشهق، و نظر إلى وجوههم و نظر إلى الورقة.. و نظر إلى الورقة و نظر إلى وجوههم.. الآن وقت الكلام :

-ماذا هناك؟

تكلّموا في صوت واحد فلم يفهم شيئاً، فأصواتهم كنفق الدجاج، هنا أشار لهم (عمر) بالصمت و التفت إلى (عاصم) يقول :

-مختار...

-الملعون (مختار)...

هذه من (محمد)..

- أنيس درب وأنا من المنايا دونه، فإذا هو للخديعة نديما، يقرع الكأس ومن دمي يملأه.

هذه من (حذيفة) ، وهنا التفت له الباكون و قال (عبد الرحمن) :

- (حذيفة) .. ليس وقتك أبدا ..

فرك (عاصم) وجهه بقوة كأنه يريد تغيير جلده:

- ماذا حدث ، لا أفهم شيئا .

(عمر) يجلس على فراش (عاصم) ويرفع كفيه ليهدئ الجماهير

الغاضبة و .. قال:

- (مختار) .. اللعين .. الوغد .. سرق كل اشيائنا و هرب .

حذق (عاصم) إليه و شخص ببصره .. انتظر .. انتظر .. الآن حان

الوقت .. ويهتف (عاصم) :

- ماذا؟

قال (فتحي) ليؤكد :

- لم نعد نملك من هذه الدنيا سوى ثياب النوم التي نرتديها .

التفت إليه (عاصم) وكرر:

- ماذا؟

ما هذه البلادة؟ ماذا؟ .. ماذا؟ .. و مد (محمد) له بالورقة مرة أخرى

فأمسكها ، و قرأ ما فيها مرة أخرى و نفض رأسه و قال:

- مستحيل .

(عمر) و الغيظ يشويه شيئا:

-لماذا مستحيل؟ لقد سرق أشياءنا فعلا وهرب.

رد (عاصم) بسرعة تحسده عليها السلاحف :

-لأنه سيكون أغبى لص في العالم.. بل في التاريخ.

قعد (فتحي) على السرير المقابل لسرير (عاصم) وقال بتأني يشكو

منه التآني:

-الآن و أنا انظر للأمر و أقلبه في ذهني و أتذكره من البداية، أجد

أن ما يقوله (عاصم) هو الصحيح.

جملته كانت أشبه بكأس ماء بارد سكب على وجوههم، نعم مثل

الكأس الذي سكبه (فتحي) على وجه (عاصم)، و كالأفيال المتعبة

قعد (محمد) و (عمر) على حافة سرير (عاصم)، أما (حذيفة) و

(عبد الرحمن) قعدا على السرير الآخر مع (فتحي)، السرير الآخر

لـ (حذيفة).

قال (محمد) و الوحيد فيهم الذي يميل للبدانة:

-الحقيقة أن يتم تدبير الأمر كله من أجل خداعنا و الاستيلاء على

أشياننا البسيطة، يجعل الأمر في غاية الغباء، الامتحان.. اللعبة..

تذاكر السفر.. الفندق.. ثم هذه الشقة، و لكن لماذا؟

قال (عمر) بسرعة :

-المرحلة الثالثة.

بسرعة قال (حذيفة) قبل أن يذهب دوره في زحمة الأبطال:

-صحيح، الدكتور (مختار) ~ يبدو أنه عاد من وغد إلى دكتور ~

تحدث عن المرحلة الثالثة التي تتعلق بالمهارات البدنية و اللياقة.

(عبد الرحمن) :

-تحدث عن ضرورة اكتساب مهارات السباحة والتسلق و ضرورة

تعلمها بسرعة.

(فتحي) وهو يشير الورقة التي لا تزال في يد (محمد) :

-ربما تكون هذه البداية.

نظر (محمد) إلى الورقة كأنه أول مرة يراها، يبدو أنه نسي تماما

أمرها و قال :

-أي بداية؟ كيف ستعلمنا هذه الورقة السباحة و التسلق؟

بسرعة قال (عبد الرحمن) :

-ربما ستهدينا إلى الدكتور (مختار) في البداية.

(عمر) :

-ولكن ليس فيها سوى رسالته التي يسخر فيها منا.

نهض (حذيفة) واقترب من (عاصم) و هو يلوح بسبابته في وجه

(عاصم) و قال:

-حرباء.

ردد (عاصم) وراءه :

-حرباء؟

هذا الذي اخترته ليكون الزعيم رقم صفر الذي لا يعرف حقيقته

أحد، أنه أبله.. لا يصلح حتى أن يكون الزعيم سالب واحد، لا عمل

له سوى تكرار ما يقوله الآخرون.

كرر (حذيفة) و هو مستمر في التلويح بسبابته:

-حرباء.. حرباء خبيثة.

لا أعلم ما المشكلة فيهم ، الكل يكرر..

بسرعة أخذ (فتحي) الورقة من يد (محمد) و أخذ يقرأ بصوت

عال:

-سامحوني و شكرا على الهدايا يا حلوين، مختاركم للخدمات

السريعة، وزززرززرز.

قال (حذيفة) :

-أنا أشك في (وزززرز).

نهض (عاصم) من فراشه و هو يقول :

-ما يشغلني الآن هو صلاة الفجر، سأصليها قضاءً، حتى أستطيع التفكير في مشكلتنا.

نظر بعضهم إلى بعض، لقد انستهم الحادثة قضاء صلاة الفجر، سيصلوا و حين يصلوا إلى الدكتور (مختار)، سيجعلونه يصلي عنهم إلى قيام الساعة.

-عوض.

خرجت هذه الكلمة من (محمد) و (حذيفة) في نفس اللحظة و هم جميعا جلوس في بهو الشقة، وهم يرفعان سبابتيهما أمام وجهيهما، كنت أظن هذه العادة خاصة بـ (حذيفة) ، ولكن يبدو أنها معدية، فقد أصابت (محمد).

لكنها كانت كالسحر فقد نهضوا جميعا باستثناء (عاصم) ، و بدون كلام ركضوا نحو باب الشقة أصواتهم يطحن بعضها بعضا.

-كيف نسيناه؟

-أنه من يعرف الدكتور (مختار)..

-لا بد أنه يعرف شيء عنه..

-سأضربه حتى يعترف بكل شيء.

-سأجعله يكتب أسماء أمة لا إله إلا الله إلى أبينا آدم عليه السلام ..

بقي البليد وحده ممسكا بالورقة التي كتبها الدكتور (مختار)، يقرأ

و يتأمل.. يتأمل و يقرأ..

ثم بحث عن شئ ما، و أخيرا أمسك بملعقة السكر وعلى الجدار

النظيف بدأ يخط بعقبها شيء ما..

يا سلام.. يفسد جدارا نظيفا كي نعرف أنه ذكي و يعرف يكتب..

كلا.. لم يختف (عوض) ، بل كان واقفا على باب شقة في الطابق

الأرضي، و يمسك كأسا من الشاي يرتشفه بهدوء و استمتاع

يتحدث مع رجل مسن، يبدو أنه ساكن هذه الشقة، حين فوجيء

بالشبان ينزلون ركضا على السلم و يحيطون به.

لا، أنه لا يعرف شيئا.. أنه بواب هذه البناية، و الدكتور (مختار)

أوصاه أن يرعى شقتهم في هذه البناية، و أن يقوم برعاية قاطنيها

لمدة أسبوعين، و أعطاه مقدما أجره و تكاليف الأكل و الشرب

لساكني الشقة لمدة أسبوعين فقط، هذا كل ما يعرفه (عوض).

و باقي الحكاية عند الرجل المسن، الذي يبدو أنه مالك هذه البناية،
وأخبرهم أن الدكتور (مختار) استأجر منه الشقة لمدة شهر، لأجل
إقامة شباب سيشاركون في مؤتمر الشباب العربي، و أنه رآه في
الواحدة صباحا مع شبان يحملون حقائباً و أغراضاً، فظن الرجل
أنهم مغادرون، و حين سأل الدكتور (مختار) عما يحدث، قال أن
مكان المؤتمر انتقل إلى مدينة أخرى لم يسمها.

و نظر المسن إلى ثيابهم و سأل:

-و لكن ما زلتم هنا!

تمنوا أن يخبروه الحقيقة و لكنهم فضلوا السكوت، و قال (محمد)
:

-سنلحق به قريباً.

و عادوا أدراجهم يجرون أذيالاً..

و جاءهم صوت (عوض) يقول :

-إن شاء الله الغداء الساعة الواحدة يا أساتذة.

تعالى همهمات الشكر، أنهم لا يبالون بالغداء في هذا الوقت
العصيب، و لكن توفر الطعام و الشراب أراحهم..

5- البحث عن الدكتور (مختار)

-نحتاج الاتصال بالسفارة للإبلاغ عن سرقة الجوازات و الحصول

على بدائل مؤقتة.

قالها (عبد الرحمن) و هم لا يزالون جلوس في أماكن صلاتهم، و

وافقه (محمد) مؤكدا:

-هذا صحيح، في مصر لا يمكنك السير بدون بطاقة هوية،

الحصول على بدائل يجب أن يكون من أولياتكم.

طبعا هو مصري وبطاقة هويته تغنيه عن جواز السفر، في حين

أنهم يجب أن يكون معهم ما يثبت هوياتهم.

قال (حذيفة) و أصابعه مشغولة بالتسبيح:

-الآن هناك شيء أهم من جواز السفر و الهوية.

قال (محمد) في تأكيد مؤكد :

-لا يوجد ما هو أهم.

أمسك (عمر) بثوب نومه من ياقته وقال:

-بل يوجد.. نحتاج ملابس حتى نستطيع الخروج و الذهاب
للسفارة.

أراد (فتحي) أن يتكلم لولا قرع على الباب قاطعه، و نهض (عبد
الرحمن) أقربهم للباب ليرى الطارق.

الطارق هو البواب (عوض)، يحمل لفائف طعامهم، بعد أن حياهم
وضع اللفائف على المنضدة الصغيرة في البهو وأشار إلى لفة
صغيرة احتفظ بها، و قال و هو يربت عليها:
-هذه طعام الوز.

لو أنه قال شيء آخر لما حدث شيء، و لكنه قالها فكأنما صعقهم
بالكهرباء، فقد انتفضوا جميعا و انتصبوا، حتى أن الرجل فزع
وقال:

-ماذا حدث يا رجال؟

أولهم (عبد الرحمن) الذي تمالك نفسه و أخذ يهدئ الرجل و
يخفف عنه بالقول:

-لا شيء يا عم (عوض)، و لكن الوز ذكرنا بموضوع نرغب في
نسيانه.

ردد الرجل في رهبة و دهشة:

-الوز؟

أكد (عبد الرحمن) كلمته :

-نعم، الوز.

نظر الرجل في وجوههم و الدهشة لا تفارقه ثم قال :

-أي خدمة؟

تعالى أصواتهم بالشكر، ودعوتهم له بمشاركتهم الغداء، و لكن

موضوع الوز جعل الرجل يفكر في الذهاب فقط، لذا شكرهم وغادر

بسرعة ، الوز فعل بهم هذا؟ فماذا عن البط؟ أو الحمام؟ أو

العصافير؟

ما أن أغلق الرجل الباب حتى نهض (فتحي) يصيح باسمه و

يركض خلفه.

يشربون الشاي و يفكرون، يفكرون و يشربون القهوة، يشربون و

يشربون، و يفكرون و يفكرون، وهم جلوس في حديقة البناية بعد

صلاة العصر، و قد انشغل كل منهم بأفكاره و التي تتفق جميعا في

السؤال التالي "كيف نفع ما نرغب في فعله؟"

أنهم يحتاجون ملابس و مال و هاتف حتى يستطيعوا التحرك،
(محمد) يستطيع تدبير ذلك كونه ابن البلد، ولكنه يحتاج يومين
حتى تصل الملابس و الهاتف و المال، دعك من الفضيحة، حيث
أصبح (محمد) حديث بلدته بأنه تم (تقليبه).

قاطعهم حضور صاحب البناية (مكرم) حاملا كيسا كبيرا، نهضوا
لتحيته و ألقى السلام و وضع الكيس على الأرض وأشار لهم
بالعودة ليجلسوا جميعا على الأرض.

نظر إليهم برهة و تكلم بنبرة من يعرف مصيبتهم:

-ابن حرام، شعرت أن هناك شيء غير طبيعي، حين رأيتَه ينزل
بأشيانكم في الواحدة صباحا، و لقد ظننت أن من معه هو أنتم.

تكلم (عاصم) بتأني:

-حتى الآن لسنا متأكدين أنه لص يا أستاذ..

-(مكرم).. لستم متأكدين! كيف ذلك؟

أخبره (عاصم) أنه ربما يكون اختبارا في مسابقة الشباب العربي،
و لم يذكر شيئا عن الرحلة.

لم يقتنع الأستاذ (مكرم) بحديث (عاصم) و لكنه ربت على الكيس
الكبير أمامه و قال:

-هذه ملابس جمعتها لكم بعد أن أخبرني (عوض) أنكم سألتموه بعضها، لست متأكدا إن كانت تناسبكم، و لكن هذا ما استطعت جمعه.

اختلطت أصواتهم بالشكر، و أخرج الرجل من جيبه هاتفًا قديماً، أكل عليه الدهر وشرب، هاتف من الهواتف الذي هو هاتف فقط، شاشة صغيرة وأزرار تقليدية، و قال:

-هذا هاتف قديم و لكنه يفي الحاجة، فيه شريحة و رصيد يكفي إن شاء الله.

ثم من جيبه العلوي أخرج حزمة مال و مدها إلى (عاصم) و هو يقول :

-هذه من أجل المصاريف.

طبعا الأستاذ (عاصم) تمنع ~ يا سلام يا أخي، و هل هذا وقت كبرياء؟ ~ و لكن الرجل أصر، و نهض (عمر) ليأخذ المال من يد الرجل، و يضعه في يد (عاصم)، و هو يدعو للرجل و مصر و أهلها.

بعد ذلك ساد الصمت بينهم، و كان باديا لهم أن الرجل يرغب في الكلام و لكنه محرج، و هنا تكلم (فتحي) :

-يا أستاذ (مكرم).. هل هناك ما يزعجك؟

قال الرجل و هو يغالب إحراجه:

-أنتم تعلمون أنكم الآن بدون هويات أو جوازات سفر تثبت شخصياتكم، و هذا قد يسبب مشكلة كبيرة، خاصة و أنتم شباب من بلاد مختلفة في بناية بعيدة، مما يثير الشكوك حولكم، و يسبب لي المشاكل.

قال (حذيفة) في جهل تام :

-وهل هي مشكلة أن يوجد مجموعة من الشباب في شقة في بناية؟

رد الرجل بسرعة:

-بالتأكيد، مجموعة شباب بدون هويات يقيمون بعيدا عن أماكن الجامعات و المعاهد و الأماكن السياحية، لابد أن يثير الشك والريبة، و خاصة أن مصر لا تستورد العمالة الخارجية.

قال (عاصم) و هو ينظر متمعنا إلى السيد (مكرم) :

-أستاذ (مكرم).. هل تريد منا أن نترك الشقة؟

هز السيد (مكرم) رأسه في قوة نفيا و استنكارا و قال:

-بل أريد منكم البدء فوراً في استخراج بدائل لجوازات السفر فوراً،
وضرورة إبلاغ الشرطة الآن.

في نفس واحد قالوا:

-إبلاغ الشرطة؟ لماذا؟

نظر لهم مستغرباً:

-لأن تقرير الشرطة سيكون إثباتاً لحالة السرقة ويكون حجة لكم،
كما أن سفاراتكم ستعطىكم بديل مؤقت - إلى حين استخراج
جوازات السفر - اعتماداً على تقرير الشرطة وبعض الإجراءات
الأخرى.

صفر (فتحي) :

-كل هذا لأجل استخراج جواز سفر جديد!

رسم السيد (مكرم) بوجهة أن هذا معلوم و مكرر، و هنا جاء
(عوض) يناديه.

التفت إليه الجميع و هو يخص السيد (مكرم) بالحديث:

-سأصعد لأطعم الوز، هل تحتاج شيئاً؟

والضيق في وجهه و كلماته و نبراته أجاب:

-لا، شكراً يا (عوض).

وراقب انصراف (عوض) و التفت إليهم يقول:

-منذ اشترى الوز بالأمس و لا عمل له سوى العناية بهم، يطعمهم و يسقيهم، المشكلة أنه يخبر الجميع بما يفعل كأننا نهتم بذلك، لقد ندمت على السماح له بتربيته على السطح.

التقت عينا (عاصم) و (فتحي) في تفاهم ثم التفتنا إلى السيد (مكرم) و هو يكمل حديثه:

-إبلاغ الشرطة و الحصول على تقرير، سيرفع عن كاهلي عبء وجود غرباء بدون هويات أو جوازات سفر.

(عبد الرحمن) :

-لكن الشرطة ستسألنا عن سبب وجودنا هنا؟

أكد السيد (مكرم) قوله الاستفهامي بالقول:

-لذلك يجب أن تخبروهم بالحقيقة، أن (مختار) هذا استضافكم في هذه الشقة ليسرركم.

(محمد) :

-و هل سيقتنعون بإجابتنا هذه؟

لم يجبه و لكنه بادلهم نظرات طويلة عميقة، تقول أنه نفسه لا يصدقهم..

و كذلك أنا..

-العشاء يا رجال.

قالها (عوض) و هو يضع لفائف الطعام على المنضدة الصغيرة، و

أكمل ما يفعله و اتجه نحو باب الشقة ليغادر و هو يقول:

-صحة و عافية.

و لكن (حذيفة) القريب من الباب صفق الباب بقوة ليمنعه من

الخروج، وصوت (عمر) يقول :

-و لم العجالة يا (عوض) أفندي؟

(عوض) أفندي؟ أليس هو (عوض) البواب؟ سبحان الله..

(عوض) البواب أصبح (عوض) أفندي.. دنيا..

(عبد الرحمن) :

-اليوم عشاءك علينا.

وهو ينظر إلى سكين ضخم في يديه بوله.. بعشق.. بافتتان.. كأنه

لم ير سكيناً في حياته.. أو يحسبه.. و العياذ بالله، قال (محمد) :

- (عوض) هل تحب الكفتة أم الكباب؟

(فتحي).. (فتحي).. و العياذ بالله.. أين عيناك؟.. لا أرى سوى
جمرتين.

و (عمر) أمسك خشبة يبدو أنها ساق كرسي أو أريكة، أما
(عاصم) هو أكثرهم هدوءاً.. طبعاً.. أليس هو الزعيم صفر الذي لا
يعرف حقيقته أحد.. أي أنه يمكن أن يكون عميل للمخابرات
الأمريكية و لا أحد يعلم.. (عاصم) أمسك بهاتف حديث و هو ينظر
إليه بتمعن يقول:

-هل تعلم ما هذا يا (عوض)؟

حين انتبه (عوض) للمشهد أمامه، دب في قلبه الخوف و الرعب،
و قال بصوت متحشرج:

-ما.. ماذا هناك.. يا أولادي؟

كرر (عاصم) سؤاله في قسوة و شراسة، و أجاب (عوض) البواب
-دنيا غدارة~:

-هاتف.. هاتف يا ولدي.

رفع (حذيفة) سبابته أمام وجهه و يقول:

-ولدي؟ و متى انجبت الأفاعي الأسود.

قال (عاصم) في هدوء أكبر:

-هل تعلم أين وجدنا هذا الهاتف يا (عوض)؟

من يمين عوض اقترب (عمر) بخشيبته و من يساره (محمد) بسكينه و من أمامه (حذيفة) بأصبعه، ووضع (محمد) السكين على عنق (عوض) المسكين.

تحشرج صوت (عوض) أكثر و هو يقول:

-لا.. لا أعلم.. يا ول.. أستاذ (عاصم).

صرخ (حذيفة) بالقول:

-لا، لا تكذب.

و قال (محمد) بغیظ:

-أني رأيتكما معا.. عينك في عينيه.. في شفتيه.. في قدميه..

لدي احساس أنني سمعت هذه الكلمات من قبل، عموما أشعر أن صداقة عظيمة ستجمع (محمد) و (حذيفة)، (محمد) يميل للبياض والطول و البدانة، و (حذيفة) أسمر و نحيل جدا و يميل للقصر، (حذيفة) يريد أن يقول هذا الذي يقوله، و (محمد) لديه سعة الصدر ليسمع ما يسمعه، و الأضداد تتجاذب.. أليس كذلك؟

قال (عوض) و الدمع في عينيه:

-رأيت ماذا يا ولد.. أستاذ؟

أشار (عاصم) لهم بالصمت وقال:

-لقد وجدنا هاتفنا مخفيا في سقف خم الوز، من وضعه هناك؟

قال (عوض) و الدمع على خديه:

-أقسم بالله لا أعلم.

قال (عمر) و هو يلوح بخشبيته:

-لا تعلم! كيف؟ ألم يخبرك (مختار) أن تضعه هناك؟

قال (عوض) و الدمع على شفتيه:

-لا والله، كل ما قاله لي أن أشتري وزتين و أضعهم في خم على

سطح البناية، وأن اطعمهم ثلاث مرات في اليوم، و في كل مرة

يجب أن أخبركم أنني ذاهب لإطعام الوز و لكن بشكل غير مباشر ،

و الله هذا ما قال لي و هذا ما فعلته.

(عاصم) :

-ألم يخبرك غير هذا؟

قال (عوض) و الدمع على ذقنه:

-قال أن بعد ثلاثة أيام، أستطيع أن أخذ الوز لنفسي.

(عبد الرحمن) :

-يا سلام، مشاركة في السرقة و الوز مكافأة لك، أين (مختار)
الآن؟

(عوض) و الدمع يتساقط من ذقنه:

-لا أعلم، و لا أعلم لم فعل ما فعل.

أشار (عاصم) لهم أن يتركوه و لكن (محمد) وضع سبابته في
وجه (عوض) و قال :

-أيك أن تتصرف في الوز، أنه أداة من أدوات الجريمة التي
شاركت فيها، سيتم التحفظ عليه.

قال (عمر) بقوة و صوت جهوري:

-نعم، سيتم فحصه بالمرق و الرز.

(عوض) و هو يركض نحو الباب:

-خذوه، لا أريده.



6- إستعادة

- كان يجب أن نضغط عليه أكثر حتى يعترف بمكان (مختار).
- هذه من (حذيفة) و هو يلوح بسبابته في وجوههم، و رد عليه
(فتحي) :
- لن يفعل، لأن الدكتور (مختار) ليس غيبا كي يخبره بمكانه، لقد
أخبره بالجزء الخاص به فقط.
- أكد (عمر) قوله و هو يراقب (عاصم) المنهمك في نقل شيء ما
من الحائط إلى هاتفه :
- هذا صحيح، الأمر الجيد في كل ما حدث، أنه يدل على أننا في
المرحلة الثالثة من مراحل الاختبار.
- ما هذا الازعاج، طق.. طق.. طق طق.. طرقات قوية جدا على
الباب و توشك أن تخلعه، فتح (محمد) الباب ليجد السيد (مكرم)
على عتبته، و الغضب يكسو وجهه و من وراءه (عوض).
- طبعا الأمور واضحة حتى أنني أرغب في تجاوز هذا الجزء، لا!..
حسنا.. الأستاذ (مكرم) كان غاضبا مما تعرض له (عوض)، و

رفع السكين دون احترام لسنه أو خدماته، نعم لقد أخبره (عوض)
الآن بموضوع الوز، و لكن هذا لا يستوجب الأسلوب العنيف الذي
تعرض له (عوض)، لا يريد أن يسمع شيئاً عن ذلك الملعون
المسمى الدكتور (مختار)، كل المصائب و المشاكل بدأت مع وجهه
النحس، و الآن هل أبلغتم الشرطة؟

(عاصم) :

-سنوَجَل إبلاغ الشرطة إلى بعد عصر غد.

ضاقت عينا (مكرم) في شك لو تعلمون عظيم و قال :

-لماذا؟

(عاصم) :

-هناك احتمال أن نستعيد أشياءنا غدا.

و وجهه على حاله، سأل:

-كيف؟

(عاصم) :

-سنخبرك حين نستعيدها يا أستاذ (مكرم)، لسنا متأكدين أن

أغراضنا موجودة في ذلك المكان أم لا.

قال السيد (مكرم) و هو يشير إلى (عوض) إشارة ذات مغزى :

-و الآن.

اندفعوا نحو (عوض) يقبلون رأسه و يعتذرون له، و هو يتقبل
اعتذارهم بروح طيبة، قبل أن ينصرف مع السيد (مكرم) الذي
حرص أن يقول قبل ذهابه:

-غدا وقت العصر، الجوازات أو تقرير الشرطة، مفهوم؟

ارتفعت الأصوات بتأكيد الفهم المطلق، و أغلقوا الباب.

هنا التفتوا إلى (عاصم) ، و قال (عمر) :

-كيف سنستعيد أغراضنا غدا؟

قال (عاصم) و هو يتصل برقم ما من هاتفه:

-هكذا.

مضت لحظات حتى أجاب الطرف الآخر، و بعد التحية قال (عاصم)
:

-الدكتور (مختار).. هل ترك عندكم أمانة؟

-من الدكتور (مختار)! آسف يبدو أنني أخطأت الرقم.

أغلق الاتصال و توجه نحو حائط في البهو و أخذ ينقل منه

من جديد، اقتربوا منه ليجدوا بخط باهت مكتوب رقم هاتف، و لكن

الرقم الثالث من اليمين مكتوب 6 و فوقه 8 و تحته 9، سأل
(حذيفة) :

-من أين هذا الرقم؟

أشار له (عاصم) بالصمت و هو يتصل من جديد و ينتظر رد
الطرف الآخر، و بعد التحية، كرر سؤاله السابق.

-ترك عندكم حقائب و أشياء أمانة لناس!

..-

-من أنا؟.. (عاصم همام)، هل ترك شيئاً..

..-

-و هل ترك شيئاً لـ..

و أخذ يذكر أسمائهم الواحد تلو الآخر، و مع كل اسم ينظر
لصاحبه و يرفع علامة التمام، ~نعم مثل علامة الإعجاب
في(فيسبوك)، يا سلام عليك يا (فيسبوكي) ~ و اختتم حديثه
بالسؤال عن العنوان، و أشار لهم بتدوينه، و هو يكرره بصوت
عال.

أنهى حديثه على الهاتف وسط ارتياحهم البالغ، و نظر للعنوان
المكتوب على الحائط بالسكين، و سأل:

- (محمد).. هل هذا العنوان قريب؟

قال (محمد) و الجهل على وجهه لا يستطيع أن يداري نفسه:

- لا أعلم، لست من سكان (القاهرة)، و لكن يبدو أنه عنوان نُزل.

رفع (حذيفة) سبابته و هو يقول :

- عبقري.. العنوان يقول أنه "نزل السعد"، أنت شمس و نعيم

يكفينا.. و سواك خيره جحيم و سعيير.

يا سلام.. يا.. سلام.. عبقري لأنه كرر ما في العنوان، أنا أكرر و

لا يمدحني أحد، بل يذمونني، أقول "الشمس شمس" فلا اسمع

صيحات الانبهار و صرخات الدهشة، لا أرى الرجال يتطاوحن

كالسكرارى من كلماتي، لا أرى النساء يفقدن و عيهن، خذ هذه

"القمر قمر.. و السحاب سحاب.. الماء ماء.. و الدواب دواب"..

هه.. لا أسمع شيئا.. حتى تنهيدة "يا عيني" لا أسمعها، حقا أنه

زمن الإنترنت فعلا.. ماذا يحدث؟.. ماذا يحدث في هذه الدنيا؟

نظر (عاصم) إلى (حذيفة) بعينين لا تبصران وقال:

-سنذهب غدا صباحا للعنوان كي نحضر أسياننا.

(عمر) :

-من أين جئت برقم الهاتف؟

(عاصم) و هو يخرج الورقة من جيب منامته:

-من الورقة.

انتزع (عبد الرحمن) الورقة من يده و أمسكها بكلتي يديه ينظر

إليها، و التف حوله الباقون باستثناء (عاصم).

(عمر) :

-لا نرى شيئا.

أخذ كل منهم يمرر الورقة للآخر و (عاصم) يراقبهم بصمت.

(فتحي) و هو يدقق في الورقة بين يديه:

-أين؟ هل هو مكتوب بالحبر السري؟

(عاصم) :

-تحت كلمة "وززززز".

هنا أمسك (محمد) بالورقة ورفعها لتكون أسفل ضوء مصباح

السقف، و هنا هتف (عبد الرحمن) :

-هذا هو..

(عمر) :

-لكن لا يمكن قراءته..

(فتحي) :

-في النهار سيبدو واضحا.

(عبد الرحمن) و هو يقترب من الحائط المكتوب عليه رقم الهاتف:

-و ما سر الأرقام حول العدد 6؟

قال (عاصم) و هو يفتح لفائف الطعام :

- الرقم الثالث غير واضح ، هل هو 6 أم 8 أم 9.

(حذيفة) و هو يضع الأطباق التي احضرها من المطبخ ~طبعا لا بد

من رفع السبابة ~:

-زرقاء اليمامة.

كرر (عاصم) :

-زرقاء اليمامة!

أكد (حذيفة) :

-زرقاء اليمامة.

(محمد) :

-زرقاء اليمامة؟

(حذيفة) :

-زرقاء اليمامة.

(عمر) :

-من زرقاء اليمامة هذه؟

أوشك (حذيفة) أن يقلع عين (عاصم) بسبابته و هو يقول :

-هذا.. هذا زرقاء اليمامة.

ضحك (فتحي) و هو يفرغ لفافة في طبق :

-و لكنه ابصر الرقم من بضعة أشبار و ليس من مسيرة أيام.

(حذيفة) و هو يوزع أرغفة الخبز على الطاولة، طبعاً توقف عن

عمله لأنه يحتاج سبابته في الحديث، فرغ سبابته :

-عين صقر.. يراه ، لا نراه.. بعده من يراه.

(عمر) :

-بعده من يراه؟

(حذيفة) والسبابة يؤكدان:

-بعده من يراه!

(محمد) و هو يسكب الماء في أقداح على المائدة فيجعلها كؤوساً:

-و لكن كيف رأيت الرقم يا (عاصم)؟

(فتحي) :

-هذا الأمر غريب حقاً، كيف رأيتته؟

(عاصم) :

-لم أصدق أن الدكتور (مختار) يخدعنا، كنت مؤمنا أن ما فعله ليس لسرقتنا و إلا سيكون أكبر أحمق، كل هذا المجهود و المال لأجل سرقة قروشنا القليلة و أشياءنا الرخيصة!.. غير ممكن.. أنها و لاشك المرحلة الثالثة التي حدثنا عنها و ضرورة الانتباه و التركيز واللياقة البدنية العالية، الحادثة أصابتكم بالارتباك و أضاعت ثقتكم بالدكتور (مختار)، في حين أخذت أتأمل الرسالة مرارا و تكرارا حتى انتبهت الرقم.

أشار لهم (فتحي) بالعودة، و قعدوا جميعا و أعطى (عبد الرحمن) إشارة البدء بـ "بسم الله الرحمن الرحيم"، و تعالت أصواتهم بها، و أنقضوا على الطعام.

(عمر) و هو يمضغ :

-الطعام وحده يكفر عن الدكتور (مختار) ما فعله، فلم يتركنا للجوع.

(حذيفة) :

-لا تنس الوز.

(عاصم) :

-الوز سيعود إلى (عوض).

(محمد) و هو يمد يده لكأس الماء:

-الحقيقة أنك كنت أفضلنا يل (عاصم) في هذا الأمر، ربما لأننا في

داخلنا نشعر بالشك في هذه الرحلة.

(عاصم) وقد أوقفت الدهشة يده عن وضع اللقمة في فيه:

-تشك في الرحلة؟

(عمر) :

-بالتأكيد.. ما الداعي لها؟ في زمن صواريخ الفضاء والطائرات و

الأقمار الاصطناعية، لقد أصبحت الأرض كقرية صغيرة، ليس فيها

غوامض أو مجاهيل، والكل يُجمع على كرويتها.

(عاصم) :

-ليس الجميع، ثم ألا يدهشك التعارض بين النظرية و التطبيق؟

(محمد) :

-أي تعارض تتحدث عنه؟

(عمر) :

-ينظرون إلى الأرض على أنها كرة و جميع تطبيقاتهم في الحياة

من طائرات و صواريخ و أقمار اصطناعية و عمليات البث

الكهرومغناطيسي تفترض أن الأرض مسطحة.

(عبد الرحمن) :

-ولماذا يكذبون؟

(فتحي) و الدهشة توقف يده عن الوصول للطعام:

-الم تشاهد اعترافاتهم حول كذبة الهبوط على القمر، و انها مفبركة، الم تشاهد اعترافاتهم حول كذبة تشريح مخلوق فضائي؟ الم يلفت انتباهك الأماكن و الجزر التي اختفت من خرائط جوجل في عالمنا المعروف؟ الم تشاهد الخرائط القديمة التي تتحدث عن أماكن كثيرة تحيط بعالمنا الذي نراه في الخرائط المزورة؟ الا تعرف أن جميع الخرائط المرسومة مزورة؟ كيف تبدو روسيا أكبر من إفريقيا في حين مساحة إفريقيا ضعف مساحة روسيا، كيف كندا ضعف مساحة البرازيل، رغم أنهما متساويتان في المساحة تقريبا، عالمنا تم تزويره بالكامل، و علينا أن نبحث عن الحقيقة.

(عبد الرحمن) :

-سمعت هذا كله، وجميعها لها تفسير ما.

والتفت إلى (عاصم) وسأل:

-أنت تؤمن بأن الأرض مسطحة؟ هذا يعني أن لها حدود يجب أن نصل إليها، ثم ماذا بعد؟ ماذا لو كانت حقا كروية و عدنا لنقطة البداية؟

(عاصم) :

-إن كانت مسطحة - و هذا ما أؤمن فيه- فسنصل إلى حدود بعيدة جدا عن الحدود المرسومة في الخرائط، بل بعدها بكثير، حدود من صنع الله و لن نستطيع نحن أو آخرون من خلقه تجاوزها، و إن كانت كروية، فهي حتما أكبر من الحجم المحدد حاليا بكثير، ربما عشرة أضعاف حجمها المعروف حاليا.

(عمر) :

-كروية و لكن أكبر من الحجم المعروف حاليا بعشرة أضعاف؟ الحقيقة أن هذا احتمال جديد، و لم أفكر فيه من قبل.

(محمد) :

-هذا يعني أن عالمنا المعروف جزء صغير من سطح كرة كبير جدا، تحيط به أراض كثيرة و واسعة و لكن بعيدة جدا، هذا أمر يسهل تقبله.

(عبد الرحمن) :

-هذه ستكون رحلة مذهلة أن تحقق أحد الإحتمالين.

(فتحي) و هو ينهض:

-السؤال هنا، هل سيسمحون لنا بالقيام بهذه الرحلة؟

(محمد) وهو يتأكد من عدم وجود فراغ في معدته لأجل المزيد من

الطعام:

-هذا هو السؤال، هل سيسمحون لنا؟

(حذيفة) وهو يلقي بلقمة كبيرة في فيه ~مشكلة النحفاء أنهم

يأكلون كالأفيال و لا يظهر عليهم، في حين نأكل لقمة واحدة

زائدة، فتتدلى الكرش فوراً~:

-تعني هؤلاء الذين يزورون كل شيء، ليس من مصلحتهم أن

تظهر الحقيقة و ينكشف كذبهم للعامة.

(محمد):

-أتعرفهم؟

(عاصم) :

-سنعرفهم أثناء الرحلة.

(عبد الرحمن) :

-كيف؟

(فتحي) و هو عائد من الحمام و يجفف يديه بالمنشفة :

-سيحاولون جهدهم لمنعنا من القيام بالرحلة.

(حذيفة) :

-هذا يعني أنه ستواجهنا مشاكل و عوائق كثيرة.

مسكين.. أنه لا يعلم أنه في البداية.. بل بداية البداية.. من رحلة

في عوالم الخطر و الأهوال.. لكن دعنا لا نخبره بذلك.. هو

أيضا؟.. هو أيضا

-(عاصم) ؟

قالها (حذيفة) أقرب إلى الهمس في ظلام الحجر و هو مضطجع

في فراشه، فرد عليه (عاصم) المضطجع في سريره بدوره:

-أممممم.

(حذيفة) :

-هل أنت نائم؟

نائم و يرد عليك "أممممم".. غريبة ، و لكن (عاصم) لم يتوقف

عندها و قال :

-لا.

تدحرج (حذيفة) على حانبه الأيمن لينظر إلى (عاصم) رغم الظلام
و قال:

-هل تعلم ماذا يعني اكتشافنا أن الأرض مسطحة أو كروية لكن
أكبر بعشر مرات؟

(عاصم) :

-ماذا يعني؟

زفر (حذيفة) وهو قال بقنوط:

-يعني أن سنغيب عن ديارنا سنينا طويلة.. طويلة جدا..

قال (عاصم) و هو يجذب الغطاء على وجهه، ليخفي ما يخفيه و
قال بصوت يأتي من بعيد.. بعيد جدا:

-أعلم هذا.

و ساد الصمت بينهم، صمت يكتب بمداد الحزن رسالة وداع..
للأهل و الديار و الأوطان.

غريبة.. كنت أظنهم لا يعلمون.. يبدو أنهم يعلمون و لا أعلم أنهم
يعلمون.. خبثاء.. أخفوا عني ما يخفونه.. كنت احسبهم جمعا سليم
الطوية..

7- الدكتور (مختار)

السراويل أوشك أن يبتلع (حذيفة) ،الذي بدا كأنه يرتدي برميلا،
أما (محمد) فقد ضاق به سراويله و أظهر منحنيات ساقه و فخده
و أشياء أخرى نحذفها لأجل الرقابة، كان سراويله من الضيق
أشبه بالذي ترتديه بعض النساء في زماننا هذا، فيشمنز منهن
الكرام و يستطيبهن اللنام، أما (عاصم) و (عبد الرحمن) و (عمر)
و (فتحي)، فقد كانت ثيابهم التي حصلوا عليها من السيد (مكرم)
مناسبة إلى حد ما.

-لن أذهب هكذا.

قالها (محمد) بضيق و هو لا يكاد يتنفس من ضيق ملابسه،
ووافقه (حذيفة) :

-و أنا كذلك، متى صرت سراويلا؟

قتل (عاصم) ابتساماً أوشكت أن تفلت من جانب فيه و قال:

-(محمد) يجب أن يذهب معنا، هو ابن البلد و يستطيع أن يتفاهم
مع أهلها بسهولة.

(عبد الرحمن) :

-أنت تعطيني شعورا أننا نمشي في بلد غريب، أنها (مصر) ونتكلم العربية مثلهم، و مشهور عن أهلها الطيبة.

(عمر) :

-هناك أشياء يعرفها ابن البلد أكثر من غيره.

(محمد) و هو يسير ببطء شديد حتى لا تتمزق ملابسه نحو باب

الشقة :

-انتظروني خمس دقائق.

(حذيفة) :

-أين تذهب ؟ حالي لا يختلف عن حالك.

(محمد) :

-خمسة فقط.

غادر الشقة و انهمك الباقون في التندر على ثيابهم و الحديث عن

وجهتهم حتى انقضت عشر دقائق، ليدخل (محمد) و هو يرتدي

جلبابا و اسعا جعله مع ميله للبدانة أشبه بعمدة إحدى القرى، و

على ساعده ثياب ألقى بها إلى (حذيفة) و هو يقول:

-جَرَّب هذه.

حسنا، الأمور الآن أفضل، صحيح أن سراويل (حذيفة) قصير
بعض الشيء مما أعطاه مظهرا هزليا، و لكنه لم يعد أشبه بارتداء
برميل، قذف (عاصم) الهاتف النقال القديم الذي أعطاه لهم السيد
(مكرم) إلى (محمد)، و هو يقول :

-هذا سيبقى معك، اتصل بي الآن لاحفظ رقمه.

أملى (عاصم) رقم هاتفه على (محمد)، الذي أجرى الاتصال فور
انتهاء الإملاء، وحين رن هاتف (عاصم)، قال:

-لنبق على تواصل إن حدث شيء و تفرقنا.

استقلوا سيارة أجرة للعنوان المطلوب، و كانت الشوارع مزدحمة
رغم إنها لم تبلغ الذروة بعد في (القاهرة).

العنوان المطلوب كان في حي هادئ و هندسته راقية، و النزل
نفسه لا يناسب عامة الناس، بل فئة السياح فقط، و استقبلتهم من
وراء مكتب صغير في غرفة الاستقبال الصغيرة، سيدة مثقفة
ترتدي حجابا و نظارة طبية، يبدو أنها تجاوزت الستين عاما، نعم
يبدو.. لم أر بطاقتها الشخصية، أخبرها (محمد) عن سبب
قدومهم، فأخرجت ورقة من أحد أدراج المكتب، و أخذت تنادي
أسماءهم الواحد تلو الآخر، و تسأل كل منهم عن تاريخ ميلاده و



مكان ميلاده حتى انتهت منهم جميعا، و أخرجت حزمة من جرور
في المكتب، كانت رؤيتها كالبلسم، فقد كانت جوازات سفرهم،
انقضوا عليها و كل منهم يأخذ جواز سفره.

نادت السيدة على شخص ما يبدو أنه يعمل عندها:

- (مرسي).. يا (مرسي).. هات أغراض جمعية الأرض المسطحة.

و أشارت لهم السيدة بالجلوس، و جلسوا و السعادة سابعهم، و
يقلبون جوازاتهم بفرح و سرور حتى جاء (مرسي) يحمل ثلاثة
أكياس كبيرة و يقول :

-بقي ثلاثة أكياس.

انقضوا على الأكياس، و كل كيس يحتوي أغراض واحد منهم
كاملة، حتى نقودهم لم تنقص شيئا، و عاد (مرسي) حاملا
الباقيات.

انتهوا من فحص أشيائهم و أخذوا يلقون بالشكر على السيدة،
التي نظرت لهم من فوق نظارتها و قالت:

-أشيائكم كاملة؟

(عمر) و الفرحة تحمله على جناحها كعريس في ليلته و قال:

-كاملة، ألف شكر.

امتدت يد السيدة إليهم ببطاقات و هي تقول:

-هذه بطاقات النزل، احتفظوا بها جيدا، إذا احتجتم شيء يمكنكم الاتصال بنا.

أخذ (عبد الرحمن) البطاقات منها وشرع يوزعها عليهم، و يزيد الشكر شكرا.

قالت السيدة و هي تخط شيئا على ورقة :

-قبل أن أنسى هذا عنوان جمعية الأرض المسطحة، الدكتور (مختار) أوصى بضرورة ذهابكم إليها.

(عاصم) و هو يتناول الورقة منها:

-هل من طريقة للاتصال بالدكتور (مختار) أو معرفة عنوانه؟

السيدة و هي مشغولة في دفتر حسابات أمامها ~ دفتر حسابات النزل يا أخي~:

-لا، كل هذه أمانات تم دفع ثمن خدمتها، لو لم تأتوا خلال يومين، كنا سنرسلها لكم مع رسالة الدكتور (مختار).

بدعوا في الانصراف و لكن (فتحي) التفت للسيدة و قال:

-ما الرسالة التي من المفترض أن تبلغها لنا؟

السيدة و هي منهمكة في دفترها-نعم دفتر الحسابات.. كلا لم
تغيره~:

-لم تعد لها أهمية بحضوركم.

(فتحي) و لكن بإصرار:

-و لكن ما هي؟

رفعت رأسها إليه ~نعم عن دفتر الحسابات~ و قالت:

-تمتعوا بالإقامة في مصر و عودوا لبلادكم، أما الآن الرسالة هي..
و رفعت يديها بعلامة النصر.

توقف (حذيفة) عن التحرك و شخص ببصره، يا إلهي يبدو أنه
سيقول شيئا مما يقوله دائما، بالله عليك يا (حذيفة) لا تقل شيئا،
قريحتي لا تجود بكلمة الآن.

.....

.....

بارك الله فيك، هذا هو الشعر و إلا فلا، موزون و مقفى و كامل
الصفات و الخصائص، هذا هو الشعر.. هذا هو الشعر..

وهم وقوف أمام النزل و معهم السعادة وحقائبهم و أشياءهم، قال

(عمر) :

-و الآن إلى أين؟

(عاصم) و هو يشير إلى سيارة أجرة:

-إلى جمعية الأرض المسطحة.

توقفت سيارة أجرة و نظر سائقها بجشع إليهم و إلى حقائبهم، و

لكن (محمد) اقتحمهم بجلابيته إلى السائق وهو يأخذ الورقة من يد

(عاصم) ، هو يقول باللهجة المصرية القاهرية:

-نريد هذا العنوان يا (أسطى).

اللهجة المصرية القاهرية كانت أشبه بكوب ماء بارد في وجه

السائق، و غاضت ابتسامته، و هو ينظر إلى (محمد) ثم إلى الورقة

ونطق جملة واحدة هي أجرة الذهاب إلى العنوان.

(محمد) :

-كثير يا (أسطى)، النصف كفاية.

السائق و هو يعد السيارة للتحرك و قد اكتفى بخيبة الأمل :

-النصف أجرة السيارة التي بعدي، سلام يا (جدع).

وانطلق، لكن السيارة التي جاءت بعده كانت أفضل في كل شيء،
كانت حافلة صغيرة سائقها رجل مسن بشوش وطلب أجره تقارب
ثلثي ما طلبه الأول.

وصلت الحافلة إلى العنوان المطلوب، و العنوان بيت من طابقين
حوله حديقة صغيرة، و سور و بوابة حديدية بجوارها لافتة
صغيرة، تحمل جملة "جمعية الأرض المسطحة".

(عاصم) :

-هل يمكن أن تنتظرنا خمس دقائق، نحتاج الذهاب إلى مكان آخر.

السائق:

-بعيد؟ ما العنوان؟

أخبره (محمد) العنوان، وافق بعد أن أكد أنه سينتظر خمس دقائق
فقط.

دخلوا من الباب المفتوح في البوابة الحديدية إلى الحديقة، ليجدوا
أمام البيت منضدة صغيرة حولها شابين ورجل تجاوز الخمسين
من عمره، بعد التحية و الدعوة للجلوس من قبل الجالسين و

رفضها بأدب من قبل الوافدين، سأل (عاصم) عما إذا كان الدكتور

(مختار) ترك شيئا لهم.

الرجل و هو ينظر إليهم مفكرا و متأملا:

-الدكتور (مختار).. الدكتور (مختار).. صحيح ترك رسالة إلى

مجموعة شبان.

و التفت لأحد الشابين الجالسين معه و هو مستمر في حديثه:

-(حامد)، الدرج الثاني من اليمين في مكتبي، ظرف أبيض مكتوب

عليه الدكتور (مختار).

و التفت إليهم وهو يواصل :

-نسيت أمر هذا ظرف تماما، رغم أن الدكتور (مختار) أخبرني

عنه بالأمس و قال أنكم ستحضرون لأخذه خلال أسبوع.

(عمر) :

-هل تعرف كيف نصل إلى الدكتور (مختار) ؟ عنوانه؟ رقم هاتفه؟

الرجل :

-لا، الدكتور (مختار) نادرا ما نقابله، و الاتصال به يتم من خلال

موقع الجمعية على شبكة الإنترنت.

جاء الشاب بالظرف و انقض عليه (عاصم) ليأخذه منه، في حركة
- ربما- بدت فظة قليلا، و فتح الظرف.

الظرف فيه ورقة بيضاء صغيرة مكتوب فيها :

"صار لديكم صورة واضحة عن الأمر، سنلتقي في المكان المحدد،
لا تتأخروا عن الموعد، العاشرة و النصف من يوم الأربعاء القادم،
إذا تأخرتم...

وززززززز..

مختاركم للخدمات السريعة "

-أنا أشك في الـ "وززززززز".

قالها (حذيفة) و هم جلوس يرتشفون الشاي في الشقة بعد تناولهم
العشاء.

(فتحي) و نظرتة استنكار لطيف:

-مرة أخرى؟

(حذيفة) و السبابة :

-لم اخطئ في المرة الأولى، و ماذا يمنع في المرة الثانية؟

(عاصم) و الخطاب في يديه يفحصه و يفحصه و يفحصه :

-لا أظن أن الدكتور (مختار) سيكرر المرة الأولى.

(عبد الرحمن) و هو يبصر البعيد لأن القريب لا يكفيه:

-لا بد من التجديد، و لكنني واثق أن الحل في نص الرسالة.

(فتحي) و هو يتأكد أن الشاي في كأسه يطيع الملاعة :

-يقول "صار لديكم صورة واضحة عن الأمر" ، هل الصيغة تعبر

عن صورة حقيقة أم مجازية؟

(محمد) و هو يرتشف الشاي في رشفة طويلة كأنه يخشى أن يفر

منه:

-لو كانت حقيقية! فما هي الصورة التي حصلنا عليها؟

(عمر) و قهوته تعطر الجو:

-حين سألنا رجل جمعية الأرض المسطحة إن كان الدكتور

(مختار) ترك أو قال شيء آخر، نفى ذلك تماما و قال إن ما تركه

الدكتور (مختار) هو الظرف فقط.

(عاصم) و هو يوشك أن يحرق الرسالة ببصره:

-لنفرض أننا حصلنا على شيء، فما هو؟

(عمر) و هو يرفع كفه كأنه في مسابقة الكنز:

-حقائبنا و أغراضنا.

بسرعة وضعوا كؤوسهم على المنضدة، و اندفعوا لأغراضهم،
طبعا رجعوا بعد نصف ساعة و الإحباط سابعهم، و كؤوسهم و ما
حوت صارت باردة.

(محمد) و هو يؤكد الإحباط بإحباطه:

-لم اترك شيئا من حاجاتي إلا فحسته جيدا، فلم أجد تغييرا و لم
أعثر على جديد.

حجبت كلمات الباقيين بعضها و هي تؤكد كلامه، ثم ساد الصمت، و
ساد و ساد.. كلا لم يحطمه أحد بعد.

(عبد الرحمن) و قد شعر أن من واجبه تحطيم الصمت:

-هل حصلنا على شيء آخر؟ لا أظن، ربما كان المقصود صورة
مجازية؟

(عمر) :

-ولكن ما هو؟

(حذيفة) و هو يقف رافعا سبابته بانتصار :

-علامة النصر.. علامة النصر التي رفعتها السيدة.

(فتحي) و (عاصم) و (محمد) يقفون معا حتى لا يفوتهم سباق

الوقوف و بصوت واحد:

-البطاقات!

و كما في المرة السابقة ~ و عسى ألا تكون مثلها ~ اندفعوا إلى
حجراتهم و عادوا و كل منهم يحمل بطاقة في يده، نعم يا أخي..
البطاقات التي أعطتها السيدة لهم.

و ضعوا البطاقات على المنضدة بعد رفع الكؤوس الباردة, حسنا..
لا داعي للضجة، لقد وُضعت البطاقات بجوار بعضها، و ليس فيهن
واحدة بها ما تنفرد به عن الأخريات، كل واحدة تنسخ الأخرى
نسخا.

(عبد الرحمن) و القنوط يشد شذقيه نحو الأرض:

-لننظر الجهة الأخرى.

يا سلام على الجهة الأخرى، كانت مختلفة.. تماما، لقد كان الوجه
الآخر صورة، لا.. لا.. لا لا.. لقد كانت صور مختلفة يجمعها شيء
واحد، هو؟..

هو موضوعها، لقد كانت صور لمشهد ما، أو أجزاء منه.

(عمر) و هو يمد يده ببطاقته ليضعها أمام وجه (محمد) :

-ما هذا المكان؟

(محمد) وهو يدفع يد (عمر) أمامه كي يبعد البطاقة عن وجهه،

كي يراها بوضوح:

-أمممممم.. لا أعلم.

إجابة عبقرية تنم عن إطلاع واسع على ثقافات العالم، و هل توجد

ثقافة ليس فيها "لا أعلم"، عبقرى هذا الـ (محمد)، و يبدو أن

الدهون الزائدة فى جسده تعطيه طاقة إبداعية.

أما الزعيم رقم صفر، الذى لا يعلم حقيقة أحد، فقد أمسك بهاتفه

و التقط به صورة لبطاقته، فقط كي يرغم (فتحي) أن يسأله:

-ماذا تفعل؟

أجاب بكلمتين - أليس زعيما - :

-بحث بالصورة.

ما أن أتم جملة حتى أمسك كل منهم بهاتفه و التقط صورة

لبطاقته، بحث بالصورة تسمح بالبحث عن معلومات ما تملك

صورته، طبعا غالبا ما يظهر البحث أشياء مشابهة، و عليك أن

تحدد أنت الهدف من تلك الأشياء المشابهة.

طبعا أظهر لهم البحث كل شيء، الغث و السمين، حتى ما تشابه

لونه أو هيئته مع صورة البحث.

(حذيفة) مع سبابته:

-خبيث.

(محمد) يكرر و يستفهم:

-خبيث؟

(حذيفة) و سبابته يؤكدان:

-و ماكر.

(عمر) :

-وماكر؟

(فتحي) :

-داهية!

(عبد الرحمن) :

-من هو؟

(فتحي) :

-من يتكلم عنه (حذيفة).

(عاصم) :

-و هو؟

(حذيفة) :

-الدكتور (مختار).

(عاصم) :

-وهل تظن انه سيجعل لك ~تررن~ الأمور و~تررن~ضحة؟
أمسك (عاصم) هاتفه و رفعه إلى أذنه بعد قبول الاتصال، لسمع
ضحكة عالية.. عالية جدا.. ضحكة استطاع معرفة صاحبها، فانزل
الهاتف و ضغط زر المجهر ليصبح بمقدور الجميع سماع
المحادثة، الضحكة العالية و التي هي أقرب للقهقهة جعلتهم
يتقاربون أكثر و يتلاصقون لـ (عاصم)، قبل أن يسمعا صوتا

مألوفاً يلي الضحكة يقول :

-كيف حالكم يا (حلوين)؟



8-الحل و الطريق

بالطبع المزيد و المزيد من القهقهة، قهقهة استفزت (عمر) و

جعلته يقول :

-لقد عرفنا المكان يا دكتور (مختار).

واصل الضحك ~ يبدو أنه يستمتع بوقته~ ثم قال وضحكته ترج

كلماته رجا :

-يجب أن تعرفوا المكان، لأن إذا لم تأتوا في الموعد فإنني

(وزززززز)، و سأترككم خلفي.

(حذيفة) و هاتف الذي يقوله في عينيه:

-أنت و ظلي على العهد سواء..

أن خان ظلي فأنت منه براء..

صرت للغدر أبا و أكثرت الابناء..

و أن الغيظ خليلي فنعم الأخلاء..

قال الدكتور (مختار) و الدهشة تخنق ضحكته :

-من هذا؟

عاد هاتف ما يقوله (حذيفة) يتألق من جديد في عينيه لولا أن

قاطعته (عاصم) بإشارة من يده و قال:

-سنكون هناك في الوقت المحدد يا الدكتور (مختار).

تعاليت ضحكات الدكتور (مختار) من جديد و قال:

-لقد جعلت الحل سهلا جدا، لأنني لا أرغب في الرحيل من دونكم، و

كنت أقودكم إلى الحل كما قاد كلیم الله قومه للخروج من مصر.

(عبد الرحمن) :

-لماذا تريدنا منذ البداية إن كنت ستتركنا في النهاية؟

يبدو أن المرح ذهب من الدكتور (مختار) و حل محله الجد و هو

يقول:

-لأنني أريد الشباب الذكي النشيط.. أريد الطبيب ومهندس السفن و

الميكانيكي و مبرمج الحاسوب و الصيدلي المثقف، أنها رحلة

طويلة و احتاجهم جميعا أعوانا لي و ليس عالية علي.

(حذيفة) مدهوشا من كلامه و منزعجا منه:

-و من أين نأتي لك بطبيب و مهندس السفن؟

قال (محمد) بكبرياء كأنه أهين و لا ألومه:

-أنا مهندس سفن.

(فتحي) :

-وأنا طبيب عام.

(عمر) :

-و أنا طبيب جراحة.

(عاصم) :

-و أنا مبرمج حواسيب.

(عبد الرحمن) :

-و أنا الصيدلي المثقف.

هنا قال (حذيفة) بقنوط :

-و أنا الميكانيكي.

نظروا إليه بدهشة و تشاركهم ضحكات الدكتور (مختار) من

الهاتف، و الأخير يقول وضحكاته تعجن كلماته:

-أنتم معا و لا تعرفون ما يفعله كل منكم، أنكم فريق رائع، الآن

أخشى أنني سأرحل من دونكم.

تنبه (حذيفة) لنظرات رفاقه المدهوشة، فقال في خجل:

-نعم، أنا ميكانيكي.

سأله ((فتحي) و الدهشة تلقي السؤال عنه:

-ميكانيكى و تقول الشعر.

(حذيفة) يحك رأسه و الدهشة عنه تقول:

-شعرا! و متى قلت شعرا؟

(محمد) :

-هذا الذي تقوله طوال الوقت، أليس شعرا؟

(حذيفة) و قد أصاب الجرب رأسه:

-هل ما أقوله يعتبر شعرا؟

و من جديد ضحكات الدكتور (مختار) تتعالى من الهاتف و يقول :

-أراكم قريبا، لا تتأخروا و إلا.. و زرزرز.

و أغلق الاتصال و لو طلبتم رأيي - وأنتم في غنى عنه- لقلت أن

أغازه سانجة و أنه يرغب فعلا في اصطحابهم معه، و لكن ثخانة

مخاخم ربما تجعل رغبته صعبة التحقيق.

(عبد الرحمن) و الذكاء يتطاير من عينيه:

-جينات.

(فتحي) ونظرته تقتل الذكاء المتطاير:

-جينات؟

(عبد الرحمن) و سبابته ~ نعم سبابته و ماذا أفعل لك؟ ، يبدو أن

السبابة قرينة كلامهم ~ تشير إلى (حذيفة) :

-موريتانيا.. بلد المليون شاعر.

خرجت آهة الفهم الطويلة من الباقيين باستثناء (حذيفة)، وجذب

(محمد) رأس (حذيفة) وقبله و هو يقول :

-الحمد لله، ألف حمد لله، كنت أحسبه مزمن أو معدي، لكن الحمد

لله الموضوع جينات فقط، ألف حمد لله على السلامة.

(حذيفة) و الضيق في كل شيء منه:

-الخل مرآة خليله..

وأن مرآتي كسيرة..

أرى فيها نفسي..

و ألف نفس أراها..

بالله أي منها أنا..

أن مرآتي شظايا..

تعالت أصواتهم بالمدح و الاستحسان.

-هذا هو..

-يا عيني..

-يسلم لسانك..

-شاعر في زمن بلا شعراء..

-فحل.. فحل من فحول الشعر يا أخوة.

(حذيفة) و هو يحك صدغه بقوة ~ يبدو أن جربا أصابه أيضا ~:

-هذا شعر؟

(محمد) و هو يؤكد بقلبه و لسانه و يده:

-و من عيون الشعر.. يا سلام.. هذا هو الشعر.. هذا هو الشعر..

مال (عبد الرحمن) على أذن (فتحي) و سأل:

-ماذا قال في شعره؟

مال (عمر) على أذن (عبد الرحمن) و قال:

-تكلم عن المرايا و أن مرآته مكسورة، يبدو أنه يريد منا أن نجلب

له أخرى سليمة.

(عبد الرحمن) و هو يبتعد عن (فتحي) و يعتدل ناظرا إلى (حذيفة)

:

-أملك مرآة لا احتاجها، سأعطيها لك.

(عاصم) و هو يشارك (فتحي) الابتسام :

-فيما بعد، لنرجع إلى أمر الصورة.

(فتحي) و الضيق ينهش صدره:

-لم نعثر لواحدة منها على شبيهه ذي معنى في الإنترنت.

(عمر) :

-كنت أقودكم إلى الحل كما قاد كليم الله قومه للخروج من مصر.

(عبد الرحمن) :

-هل يقصد بها الدكتور (مختار) شيئاً؟

(عاصم) :

-أنه لا يقول هراءً، أو كلمات بلا معنى، لعل قصد بها شيئاً.

(محمد) :

-لقد علم أننا استعدنا أسياننا، و بالتالي حصلنا على البطاقات و

الرسالة، و أننا نبحت عن مكان اللقاء.

(حذيفة) و سبابته أمام وجهه:

-لو فرضنا حسن النية فيه، فكيف ستساعدنا جملته في الحل؟

(عاصم) :

-جملته تبدو ضمن سياق الكلام، و لكن مثل (عمر) أشعر أنه أراد

بها شيئاً ما.

(فتحي) :

- (موسى) عليه السلام هو كلیم الله، و هو من قاد بني إسرائيل
للخروج من (مصر)، و الدكتور (مختار) يساعدنا في الخروج من
(مصر)، فهل هناك علاقة ما بين الأمرين؟

(محمد) و المنضدة تضرب يده:

- هل يحسبنا كبني إسرائيل؟ هذه إهانة.

(فتحي) نافيا ما يُنفى:

- لا، أنه يقصد الفعل و ليس من قام به، ما العلاقة بين الصور و
الخروج من (مصر)؟ هذا هو السؤال.

(حذيفة) وهو يتأكد من جودة خشب المنضدة ~ هذا ما استنتجه من
طريقة طرقه عليها ~:

- ربما يقصد الفعل و من قام به معا.

(عاصم) :

- ست صور و جملة، كيف يقودنا هذا إلى مكان اللقاء؟

(عمر) :

- إلى أين أخذ موسى قومه؟ إلى فلسطين.. ربما تكون هذه الصور

خاصة بمكان ما في فلسطين!

(عاصم) و هو ينفى برأسه و سبابته :

-لا، موسى عليه السلام لم يدخل فلسطين لأن قومه رفضوا دخولها لوجود قوم جبارين رغم وعد الله لهم بالنصر، فقضى الله عليهم التيه في سيناء أربعين سنة.

(عبد الرحمن) :

-ربما تكون صورة مكان في سيناء؟

(محمد) في غبطة و سرور وبصوت عال:

-جبل (موسى) عليه السلام، الجبل الذي كلم الله سبحانه وتعالى نبيه (موسى) عليه السلام عنده، أنه مزار سياحي شهير.

(عمر) :

-و ما علاقة جبل (موسى) عليه السلام بالصور؟

أزاح (فتحي) البطاقات جهته و نظر إليها وأخذ يستبدل موضع بطاقة بأخرى و هو يقول :

-الصور تبدو كمشاهد طبيعية، ربما لنفس المكان..

وضع كلتي يديه على البطاقات و أزاحها إلى منتصف المنضدة و هو يواصل حديثه:

-لكن الحقيقة أن الصور كلها تصنع صورة واحدة لمشهد واحد.

نظروا للبطاقات التي صنعت صورة واحدة كاملة لمشهد طبيعي

لجبل ما، و هتفوا معا :

-جبل (موسى) عليه السلام!

(عبد الرحمن) و هو يرفع هاتفه ليأخذ صورة للبطاقات:

-حان وقت الحقيقة.

استغرق بحثه بضعة ثوان حتى ظهرت النتيجة، و يقول (عبد

الرحمن) بظفر:

-أنه هو (جبل موسى).

تقاربت رؤوسهم و هم ينظرون لهاتفه، هذه المرة كانت نتائج

البحث الأولى تؤكد استنتاجهم و تظهر صور مطابقة و أخرى

مشابهة للصورة التي شكلتها البطاقات.

لم ينبس أحدهم ببنت شفة لبرهة، حتى قطع صمتهم صوت

(حذيفة) و هو يقول :

-ثاء.. عين.. لام.. باء..

نظروا إليه و الاستغراب خامسهم، فقال :

-ثعلب.. هذا الدكتور (مختار) ثعلب مكار..

ترنم (عاصم) :

-خرج الثعلب يوما..

(محمد) :

-في ثياب الواعظينا..

....

تشاءب (عبد الرحمن) حاجبا فمه بكفه و قال :

-لقد انجزنا الكثير اليوم، و بقي لآذان الفجر بضع ساعات ، لننم

الآن و ننظر غدا فيما سنفعل.

وافقه الجميع و نهضوا إلى أسرّتهم..

و نهضوا إلى أسرّتهم..

إلى أسرّتهم..

أسرّتهم..

- (فتحي) ؟

-نعم يا (عبد الرحمن)؟

-هل أنت نائم؟

-نعم، و من تحسبه أنه يكلمك هو شيطان من الجن يقلد صوتي.

-جميل، لماذا تؤمن أن الأرض مسطحة؟

-لأن هذه هي الحقيقة.

-و من أين جئت بهذه الحقيقة؟

-من قصة ذي القرنين في سورة الكهف².

(عبد الرحمن) مدهوشا :

-ذو القرنين؟ .. سورة الكهف؟

(فتحي) وهو سِنَة من النوم تتلاعب بصوته :

-ممممم.. ما بك؟.. ألا تعرف؟

-بل أعرفهما جيدا، و أحرص على قراءتها يوم الجمعة³، و لكن

أين وجدت الدليل على أن الأرض مسطحة؟

(فتحي) وقد تركت السِنَة صوته:

-بدأ ذو القرنين رحلته لمعرفة حدود الأرض بمطاردة الشمس إلى

مغربها، ووصل إلى نهاية الأرض من جهة الغرب، حيث وجد

عندها قوما، ثم رجع يطارد الشمس إلى مشرقها حتى وصل نهاية

الأرض من الشرق، و لو أن الأرض كروية لما احتاج للرجوع

² القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية 83 إلى الآية 99
³ في مُسْنَدِ الدَّارِمِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ
أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي
الدَّرْدَاءِ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ
الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ "

لمطاردة مشرق الشمس، بل كانت رحلته الأولى ستعود به إلى
النقطة التي بدأ منها رحلته.

أطلق (عبد الرحمن) صفييرا طويلا من شفتيه و قال:

-هل تعلم أنني أحرص على قراءة سورة الكهف كل جمعة منذ أكثر
من سبع سنوات، و لم انظر لها كما نظرت.

(فتحي) وقد عادت السيئة تتلاعب بصوته:

-هذا هو القرآن، إن كنت تريده تلاوة و أجرا فهو تلاوة و أجر، إن
كنت تريده علما فهو بحر لا ينضب من العلم، إن كنت تريده نورا
للحقيقة فهو نور للحقيقة، وإن كنت ترفض أن تؤمن به فسيجعل
لك الشيطان منه ما يزيدك منه نفورا.

ساد الصمت بينهما و طال ..

و أن الصمت أحيانا أبلغ من فصيح الكلام..



9-سيناء

-و لكن ماذا وجد ذو القرنين حين وصل نهاية الأرض؟
هذا السؤال من (عمر) إلى (فتحي) و هم في السيارة التي تأخذهم
إلى (جبل موسى) ، كان الطريق مرصوفا و السيارة تشقه بسرعة
و الجبال تنظر لها و تتسائل عن غايتها في هذا الصباح .
جاء الجواب على سؤال (عمر) من لسان (عاصم) الذي جلس
بجوار السائق :

-وجد أرضا من الطين لا يمكن تجاوزها.

(عبد الرحمن) :

-لم يستطع تجاوزها هو، لكن في عصرنا هذا ربما يمكن تجاوزها.
ابتسم (فتحي) و قال:

-لقد أوتي ذو القرنين من كل شيء سببا، و لو أن هناك طريقة
لتجاوز تلك الأرض لمدّه الله بها، لكن الله اوحى إليه أن هذه نهاية
الأرض، ويُقال أن ذي القرنين إذا بلغ موضعا لا يمكن تجاوزه،

جعل فيه تمثالا من النحاس مادا يمناه و قد كُتب عليها "ليس ورائي مذهب".

وافقه (محمد) بهذه المعلومة:

-نعم، لأن السحاب كانت مُسخرة له تحمله حيث يشاء، و طريقة صنع السد الذي صنعه ليحول بيننا و بين أجوج و مأجوج، تُخبر أنه لا ينقصه العلم و لا القوة و لا الوسيلة.

هنا جاء دور السائق ليدلي بدلوه، و يظهر علمه و ثقافته، لن يرضى بدور الممثل الذي يقدم القهوة في المسرحية دون كلام، كلا.. أنه مهم و مثقف و رغم أنف الجميع سيجعل له موضعا في هذه القصة، فقال:

-نعم، لولا السد الذي صنعه لوجدت أجوج و مأجوج عندنا، انهم وحوش يأكلون الأخضر و اليابس، الشجر و الحجر..

يكفي يا عزيزي السائق.. يكفي، مشهد طويل مع جملة طويلة.. لقد نلت فرصتك، دعنا نعود لأبطالنا، لكن.. لا أن هذه فرصته و لن يتركها، ربما يصير بطلا في السلسلة و ربما أكثر ، لذا استمر في عناد يقول:

-لهم أذان كبيرة، الأولى فراش و الثانية غطاء..

هنا أراد الساذج (عمر) أن يصحح معلومات السائق ~ و يا عيني
~ فقال:

-هذه خرافات، ياجوج و ماجوج من نسل (آدم) عليه السلام، و
يختلفون عن نسل (آدم) عليه السلام في الهيئة كاختلاف أهل
الصين و شرق آسيا و عموم الأمم عنا أهل الشرق العربي.

ساذج جدا هذا المُسمى (عمر)، ساذج و مسكين.. لماذا يصحح
معلومات المرجع الأعلى؟ يبدو أنه لا يعلم حقيقة المتكلم.

هنا ترك السائق قيادة السيارة و التفت بكل بدنه إليه، كما يفعل
الطفل الجالس في المقعد الأمامي ليتحدث مع من يجلس في المقعد
الخلفي ~ يبدو أنه يبحث عن دور البطولة في هذه القصة التي
صارت قصة رعب~ و قال بقوة كأن ياجوج و ماجوج ابناء خالته:
-لا يا أستاذ، معلوماتك كلها خطأ، أنا خير من يعرف ياجوج و
ماجوج، لقد قرأت الكثير ~طبعاً قرأ الكثير~، ياجوج و ماجوج
قصار القامة، عراض الوجوه و أذانهم طويلة، الأولى باطنها من
الجلد و ظاهرها من الشعر و الثانية خلفها..

هنا انتبه الأبطال إلى فداحة، و حماقة فعلهم بعدم السكوت عن
حديث السائق ~إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، و لقد

ألمحت لهم بذلك و لكن.. ~ فأمسك (عاصم) بمقود السيارة و
تعالَت صيحاتهم إلى السائق بأن يعود إلى سِياقة السيارة قبل أن
تتحول أمنيات ذناب الصحراء بتذوق الكفتة إلى حقيقة.
طبعاً لا داعي لإكمال هذا المشهد، فقد أخذ السائق ناصية الحديث،
و كأنه خطيب يوم الجمعة أو عالم عظيم في جامعة عريقة، و هم
يهزون رؤوسهم بحماس و يوافقونه في كل ما يقول.
هذا هو الإنسان، اعطه النصيحة في رخاءه فكأنك تعطيه نادرة، و
لا يعلم قيمتها ويأخذ بها إلا وقت شدته، حين يكون الوقت قد فات
أو أوشك.

-هل هذا جبل موسى؟

سأل (حذيفة) و هو ينظر إلى الجبل الوعر أمامه، الجبل الذي ليس
على ظهره معلم يفيد بأنه معلم سياحي يأتيه السواح من كل مكان،
ليس هناك نَقْب أو شَعْب في الجبل، بل صخور و نبات جبلي، وقد
أحاطت به الجبال الأخرى والتضاريس الوعرة، و السائق يقول
بحماس ملتهب:



-بل هو جبل (موسى) عليه السلام، لكن زواره قلعة ويأتون في
أوقات متباعدة.

أخذوا ينظرون إلى الجبل و إلى بعضهم، هذا جبل موسى!..

هنا حسم (عاصم) الأمر و قال بثقة و تأكيد :

-هذا جبل (موسى)، أنا أعرفه.

نظر إليه الباقون بما فيهم السائق بدهشة و هتفوا بصوت واحد:

-تعرفه؟!!

أكد (عاصم) كلامه تأكيدا لفظيا :

-أنا أعرفه، أنا متأكد أنه جبل (موسى).

نظر إليه السائق باستغراب شديد و هو يحك خده ثم التفت إلى

الباقيين و قال بارتياح و تأكيد :

-ألم أقل لكم، أنني انقل السواح إليه بين الحين و الآخر..

اتم جملة و هو يتجه إلى سيارته و هنا صاح (عبد الرحمن) :

-إلى أين تذهب ؟ من سيعود بنا؟

أدار السائق محرك السيارة و قال:

-أنا.. أنا سأعود إليكم قبل غروب الشمس..

و انطلق بسيارته و ستة أزواج من العيون تتبعه حتى غاب عن

انظارهم وراء جبل قريب..

نظر (حذيفة) إلى الجبل وقال :

-لا يبدو هذا كجبل (موسى).

(فتحي) و هو يتأمل الجبل بعمق:

-لا يبدو هذا كجبل (موسى).

(عمر) و هو يتأمل الجبل بعمق أعمق:

-لا يبدو هذا كجبل (موسى).

(عبد الرحمن) و هو يتأمل الجبل بعمق أعمق و أعمق:

-لا يبدو هذا كجبل (موسى).

(محمد) و هو يتأمل الجبل بعمق أعمق و أعمق وأعمق:

-لا يبدو هذا كجبل (موسى).

(عاصم) و هو ينظر للجبل بغير اهتمام :

-هذا ليس جبل (موسى).

التفت إليه رؤوس الباقيين بسرعة حتى أوشكت أن تُخلع من

أعناقها، و بصوت واحد قالوا:

-ليس جبل (موسى).

أكد (عاصم) :

-ليس جبل (موسى).

(حذيفة) و قد أوشك شعره أن ينتزع نفسه من رأسه:

-لكنك أكدت كلام السائق بأن هذا جبل (موسى)!

(محمد) و الجنون و الدهون يوشكا أن يجعلاه قنبلة حية:

-و أنك تعرفه.

(عبد الرحمن) بهدوء شديد و لكنه هدوء من يحاول ابطال قنبلة

على وشك الانفجار :

-و القصد؟

(عمر) و بمعنويات عالية جدا:

-لأنه يعرف الطريق إلى جبل (موسى) من هنا.

(فتحي) و هو يراقب (عاصم) باهتمام ينفي كلام (عمر) برأسه :

-إذا ما السبب؟

(عاصم) بثقة تجعلك تشك في نفسك :

-المرحلة الثالثة!

يا سلام!.. المرحلة الثالثة؟.. الم تنتهي بالعثور على مكان اللقاء

بالدكتور (مختار)؟.. الم يثبت الجميع ذكائهم في حل اللغز الذي

وضعه الدكتور (مختار)؟.. ما الجديد الآن؟.. ما الجديد؟

قال (عاصم) وهو يواجههم بهدوء:

-المرحلة الثالثة تشمل اللياقة البدنية..

قاطعته (محمد) بحدة هي للصياح أقرب:

-إذا كنت تعلم أن هذا ليس مكان اللقاء و سهلت للدكتور (مختار)

مع السائق إحضارنا إلى هذا المكان!

صاح (عمر) مستغربا.. متعجبا.. غاضبا:

-هل تعني أن (عاصم) تواطئ مع الدكتور (مختار) و السائق

لخداعنا؟

(حذيفة) بصوت قوي :

-هل كنت تساعدهم في خداعنا؟

(عاصم) بصوت عال وهادئ يحاول تهدئة غضبهم:

-لا، الأمر ليس كذلك، أنتم تعلمون أن السائق جائنا من قبل

الدكتور (مختار)، و لاشك أنه يأتري بأمره، حين أصر السائق على

أن هذا هو جبل (موسى)، أدركت أنه يفعل ذلك بأمر من الدكتور

(مختار)، لماذا؟.. لا يوجد سبب سوى إكمال المرحلة الثالثة، لذلك

وافقت السائق و آزرته.

(عمر) بغيظ لم يفارق صوته:

-والآن.. ماذا سنفعل؟

(عاصم) :

-سنذهب إلى مكان اللقاء، سنحاول العثور على جبل (موسى).

(فتحي) وكفه يصاحب كلامه:

-كيف؟ أخبرنا كيف؟ لا نعلم أين نحن؟ و لا أين جبل (موسى)؟

(عبد الرحمن) وهو ينظر للبيئة الجافة القاسية التي تحيط بهم:

-هذا ما يجب علينا أن نعرفه.

(حذيفة) :

-و إن لم نستطع؟

(عبد الرحمن) :

-سيعود السائق عند غروب الشمس..

أدركوا جميعا مغزى قوله، لذا قال (عمر) :

-و سيأخذنا إلى فندقنا..

و أكمل (فتحي) عنه بصوت أقرب للهمس:

-و من ثم نعود إلى أوطاننا.

ترنم (حذيفة):

-كل بلاد العرب أوطاني..

ساد الصمت بينهم حتى قطعه (عمر) قائلا بصوت خافت وبدون

مناسبة:

-أنا كردي..

و تبعه (عبد الرحمن) على نفس الهيئة:

-أنا أمازيغي.

نظر (عاصم) إليهم وبخفوت قال :

-{ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً □ وَاحِدَةً □ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ }⁴

وعاد الصمت من جديد...

صامتون.. واجمون.. يفكرون.. ماذا عساهم يفعلون؟.. صوت

(عاصم) قطع أفكارهم و هو يسأل (حذيفة) :

-(حذيفة).. لماذا رغبت في هذه الرحلة؟

نظر (حذيفة) إليه و تأمل و فكر وقال:

-حبا في المغامرة و مشاهدة عالم يختلف عن عالمي.

أدار (عاصم) رأسه إلى (فتحي) وسأل:

-وأنت؟

نظر (فتحي) إلى (عاصم) وتأمل وتأمل والهدوء رفيقه قال:

-بحثا عن الحقيقة.. حب المغامرة.. مشاهدة العالم..

⁴ القرآن الكريم، سورة المؤمنين، الآية 52.

وجاء دور (عمر) :

-أنا كل ما قالوه.

(محمد) وجد أن بعض الثرثرة لن تضر أحدا ~ طبعا تجاهل رغبتني

في الاختصار و أن ثرثرته ترهقني~ فقال:

-أمنيته كانت الحياة على ظهر سفينة تنتقل بين بقاع العالم، ربما

لهذا درست هندسة السفن، و لكن الحياة خيبت آمالي حتى أنني لم

أجد نفسي عملا في تخصصي، لهذا وجدت هذه الرحلة بديلا جيدا

لأمالي المندثرة.

دعنا نبدأ من جديد لنكتب قصة حياة الأستاذ (محمد)، ماذا يأكل؟..

ماذا يشرب؟.. كيف ينام؟.. متى يدخل الحمام؟.. أتمنى من الجميع

الاختصار و عدم الثرثرة.. المغامرة بأحداثها و ليس بثرثرة

أبطالها.. وأنا أرى كثيرا من الثرثرة.. حتى أوشكت هذه المغامرة

أن يكون عنوانها "ثرثرة فوق السحاب".

و (عبد الرحمن) قال ما هو آت:

-أتمنى أن أضيف جديدا لعلم الصيدلة، وعسى أن تحقق هذه

الرحلة طموحي و أن أجد شيئا شديدا ،فإن لم يحدث فمشاهدة

العالم أمر جميل، و المغامرة و الاستكشاف لا بأس بهما.

ظلمت (محمدا).. يبدو أن له منافسا يحب الثرثرة.. والآن.. الآن
حان دور الزعيم رقم صفر الذي لا يعرف حقيقته أحد، فقال
(عاصم) :

-وأنا خرجت بحثا عن واقع أفضل، و آفاق جديدة، ولأجل المغامرة
ولأجل منشيء لم تنطقوا به جهارا.. المجد.. المجد الذي نسعى له
من هذه الرحلة..

ثم ماذا بعد يا (عاصم)؟ سألت و سألت و سألت وسألت وسألت..
ثم ؟

يبدو أنه يملك إجابة.. كيف عرفت؟.. لأنه أستمروا في الحديث..
ثرتار هو الآخر.

-جميعنا خرجنا لتحقيق شيء أو أشياء، ومن بينها المغامرة،
ولكن ما هي المغامرة؟ ، هي الأحداث التي تمر بنا، و المخاطر
التي نتعرض لها في سبيل بلوغ أهدافنا وغاياتنا، و كلما عظم
الهدف أو الغاية زادت الصعاب و المخاطر ولكن المغامرة تصبح
أكثر متعة و إثارة، وكل شيء يهون لأجل الغاية العظيمة،
والانسان بطبعه لا يشعر بعبارة الحدث ومغزاه ولذته أثناء وقوعه
بل بعد انقضاءه، فهل سنكون كأكثر الناس الذين يحلمون بالمجد و

المغامرة، ثم ينقلبوا على أعقابهم عند أول عثرة، ما نواجهه الآن
قد يكون أقل الأشياء ضررا وخطرا مما سنواجهه أثناء رحلتنا،
فهل نقلب على أعقابنا عند أوائل العثرات أم نستمر حتى تحقيق
أهدافنا و غاياتنا؟

هذا ليس حديثا.. هذه خطبة الجمعة في بث حي و مباشر، يبدو أن
الزعيم رقم صفر نسي حقيقته، وتخيل أنه خطيب!



10-البحث عن جبل

لكن.. يبدو أن كلامه حرك فيهم شيئاً وأشعل جذوة الأحلام التي أوشك اليأس أن يطفئها، وعادت الهمة تتدفق في ابدانهم بعد خطبة الزعيم رقم صفر، لذا قال (عمر) :

-سنحاول الوصول إلى مكان اللقاء مهما كانت الصعاب.

بدأ الحماس يسري فيهم، ويجبر الدماء على دخول أدمغتهم لتعمل بكفاءة ظهرت في حديثهم.

(عبد الرحمن) :

-نحتاج الآن لتحديد موقعنا إلى موقع جبل (موسى) عليه السلام.

(عاصم) :

-المسافة بيننا وبينه هي أقل من ثلاث ساعات سيرا على الأقدام.

(حذيفة) مدهوشا:

-كيف عرفت؟

(عاصم) :

-لقد انطلقنا الساعة السادسة صباحا وبلغنا هذا المكان في الساعة
والنصف، وموعدنا مع الدكتور (مختار) في العاشرة والنصف،
هذا يعني أننا نبعد عن مكان اللقاء بمقدار ثلاث ساعات أو أقل
سيراً على الأقدام ، لأن الدكتور (مختار) يساعد دائماً في حل
المعضلة، السؤال الآن ، في أي اتجاه سنمضي؟

(عمر) :

-ثلاث ساعات على الأقدام تعني قرابة ثمانية عشر كيلومتراً، هل
سيمضي كل واحد منا في اتجاه؟

(عاصم) :

-لا، سنبقى معاً، في الطريق كانت لوحة تقول إن المسافة إلى جبل
(موسى) أربعون كيلومتراً.

بفرح و انتصار وبهجة قال (محمد) :

-عند هذه اللوحة قال السائق أن الساعة هي الساعة تماماً.

(فتحي) :

-لو علمنا سرعة السيارة لعلمنا المسافة.

(عاصم) :

-ستون كيلومتراً، لقد نظر..

(عبد الرحمن) مقاطعا بقوة.. بعنف.. بسعادة و سرور:

-نعم لقد سأل (حذيفة) السائق أن يزيد سرعة السيارة، لكنه قال أنه لا يستطيع أن يتجاوز ستين كيلومترا في الساعة.

(عاصم) :

-إذا من علامة الطريق إلى هنا قرابة ثلاثين كيلومترا، هذا يعني أن أمامنا عشرة كيلومترات..تقريبا.

(عمر) :

-و لكن في اتجاه؟

سبق (فتحي) (عاصم) في الحديث :

-سنعود للطريق المرصوف و نسير معه، حتما سنجد على الطريق قرب جبل (موسى) علامة أو لافتة تدل على الجبل.

نظروا إلى الجبال المحيطة بهم والطبيعة القاسية، المعضلة أن السائق سار بهم فترة لا بأس بها بين الجبال، منذ أن خرج عن الطريق المرصوف، ولكنهم ساروا بهمة و عزم و عيونهم تبحث عن آثار السيارة، الآثار تظهر وتختفي حسب طبيعة الأرض، وهم يصعدون تلالا ويهبطونها و يدورون حول الجبال .

كانوا متباعدين ولكن كل منهم يرى الآخر و يسمعه، ولكن لكل شيء نهاية، والنهية كانت صخورا كثيرة كبيرة تغلق الفج بين جبلين..

(حذيفة) :

-هل جننا من هنا؟

(عمر) :

-بالتأكيد، آثار السيارة تقود إلى هذا المكان.

(حذيفة) بغيظ :

-إذا من أغلق الطريق؟ كيف جاءت الصخور؟

كان من الواضح أن الطريق أُغلق بانهيار جبلي.. لكن متى؟ .. وكيف؟.. لقد جاءوا من هنا قبل وقت ليس بالطويل..

(عاصم) يقول وهو ينظر حوله :

-هذا لا يهم الآن، يجب علينا تجاوز هذه الصخور.

نظروا للجانب الأيمن فإذا سفح الجبل يرتفع عموديا، فنظروا للآخر فقال لهم "أنا مثل أخي".

(فتحي) متأملا الجبل الأيمن ويقول:

-لا بديل عن تسلق الجبل للوصول للجهة الأخرى.

(عبد الرحمن) :

-لنرجع نبحت عن منفذ آخر.

(محمد) :

-وهل يوجد منفذ آخر؟ من المكان الذي تركنا فيه إلى هنا جبال لا
تفصل على الجانبين.

صمتوا فلم يكن هناك حلا آخر، لذا اتجهوا جميعا للجبل الأيمن
لتسلقه، لماذا الأيمن؟ لأنهم ظنوا أنهم قادرون على تجاوزه، و
أنني لفي شك من ذلك عظيم.

حين يلتقون الدكتور (مختار) ، ستكون لهم كلمتان معه حول
أفكاره الإبداعية، كلمتان ثقيلتان..

صعدوا بضعة أمتار حين اهتز المكان بصوت عال..

صوت مخيف..

مخيف جدا..

أشبه بالزئير..

يا (ماما)..

رائع.. رائع جدا.. هذا ما أريده.. بعض الخطر.. بعض الإثارة..
حيوانات مفترسة .. تركض خلفهم لتعض مؤخراتهم.. صراخ..
تسلق.. لكمات.. هذا ما أريده.. أنني فخور بأني أكتب مغامرة
هؤلاء الشبان بعد أن أوشك الملل أن يقتلني بثرثرتهم.. رائع..
رائع جدا.. رائع إلى ما لا نهاية..

هنا التفتت خمسة أزواج من الاعين لتلتقي على وجه (محمد)،
وبصوت واحد قالوا:

-ما هذا؟

ابتلع (محمد) ريقه وقال بثقة و شجاعة:

-لا أعلم.

طبعا لأنهم في مصر و (محمد) المسكين مصري، فأنهم يتوقعون
منه أن يعرف كل شيء.

كم عدد حبات رمال مصر؟ (محمد) يعرف.. كم عدد نجوم سماء
مصر؟ (محمد) يعرف.. كم عدد المصريين الذين أصابهم الإسهال
ليلة أمس؟ (محمد) يعرف..

و (محمد) مثلنا جميعا لا يعرف إلا المعلومات العامة عن بلده، ما الوجبات الرئيسية في اليوم؟ الإفطار و الغداء والعشاء.. متى ندخل الحمام؟ حين نشعر بالحاجة إليه.. من أين تشرق الشمس؟ من النافذة الشرقية في بيوتنا.. وأين تغرب؟ خلف بيوت الجيران في الجهة الغربية.. معلومات عامة فقط..

والمصيبة ان في عيونهم نظرة اتهام، كأنه الوكيل الرسمي و الوحيد والمعتمد عن حيوانات مصر.. يعرف عددها وماذا تفعل وأوقات نومها وتزاوجها.. وأن هذا الصوت لا يمكن أن يخرج إلا بأمر من (محمد) لهذا الحيوان.. بل ربما كان هذا الحيوان في جيبه ثم أطلقه في الجبل ليفزعهم..

لم تتحرك عيونهم عن وجهه والشك لا يزال فيها..

(عمر) :

-هل توجد حيوانات مفترسة هنا؟

(محمد) بثقة لا يتخللها شك:

-لا أعلم.

(عبد الرحمن) و الغيظ يقف مع الشك في عينيه:

-كل شيء لا تعلمه، فماذا تعلم إذا؟

(محمد) :

-لا أعلم.

بدأت أشك أنه يعاني من صدمة ما بعد الزئير، فهو يردد "لا

أعلم"، أنها تشبه صدمة ما بعد الصدمة.

أخذ (عاصم) يلتفت حوله كأنه يبحث عن مصدر الصوت وقال:

-لنتجاهل ذلك و نعاود المسير.

هنا.. وكان صاحب الزئير شعر بأنهم يتجاهلونهم.. فعاد الزئير

مجددا..

قويا..

عميقا..

مرعبا..

(عاصم) أسرعهم قرارا فقال:

-هيا لنعبّر الجبل بسرعة.

واندفع يركض على سفح الجبل متجها لقمته والبقية تتبعه..

لا يعلمون أيركضون بعيدا عن الصوت؟.. أم إليه؟

ما هذا ؟.. أنهم يهربون!.. أين الشجاعة؟ لماذا لا يبحثون عن مصدر الصوت ويمسكون به؟ ثم طاخ.. طيخ.. جبناء..

و (محمد) في أخراهم يهز دهنه ويحاول أن يدركهم، وكأغلبنا حين وقوع المحن والمصائب، أقسم إن نجا من هذه المحنة، سيمارس حمية قاسية ولن يقرب الطعام أبدا، وسيمارس الرياضة كل يوم.. بل كل حين ووقت.. سنرى يا سيادة المهندس (محمد) حين تنتهي هذه المحنة.. أتصدق أم تكون من الكاذبين؟

طبعا سبقهم (حذيفة) وهو يركض صعودا و يقفز فوق الصخور ويدور حول الأشواك و (عاصم) من خلفه يناديه..

فلما انتبه بعد حين، التفت إلى (عاصم)، فوجده يشير بيده أن يدور حول سفح الجبل، هنا توقف (حذيفة) وقد جعل كفيه على ركبتيه ويعب الهواء عبا~لياقتهم عالية هؤلاء الشباب~، ثم انطلق يجري في اتجاه (عاصم)، الذي يتبعه (عمر) ف (فتحي) ف (عبد الرحمن) ثم على مسافة منهم (محمد)..

في لحظات أدرك (حذيفة) (عاصم) الذي قال وهو يواصل الركض:
-صاروخ يا (حذيفة).

(حذيفة) وهو يتجاوز (عاصم) :

-لن تنتهي رحلتي هنا في معدة وحش من وحوش الجبل.

هنا تعالى نداء (محمد) من وراءهم أن أدركوني، توقفوا جميعا و

نظروا خلفهم، كان (محمد) قد جلس على ساقيه ووضع يديه على

ركبتيه، ساروا نحوه مسرعين رغم المسافة التي تفصلهم عنه..

-دعي العي العو..

أمسك (حذيفة) بكتف (محمد) وهو يقول:

-خذ نفسا.. خذ نفسا..

(عبد الرحمن) وهو ينحني واضعا كفيه على ركبتيه:

-نحن.. نحن هـ.. نحن هنا.. مـ.. معك.. لن نـ.. ركك.

(عاصم) وهو يعتلي صخرة و يجعلها منارة ينظر منها إلى ما

حولهم :

-لا داعي للخوف.. لا يوجد شيء.. لا يوجد خطر..

مرة أخرى كأن صاحب الصوت يستنكر تجاهله..

فدوى الزئير..

عاليا..

عميقا..

قريبا..

يا سلاالم.. ما أروعك.. ما أبدعك..

انتفضت قلوبهم في أقصائها الضيقة حتى أوشكت أن تهدمها..

ما هذه القلوب الخرعة..

الحمد لله أن حالهم لم يساعدهم على الركض و الهرب، فبقوا في

مكانهم يلتفتون حولهم..

(عاصم) وهو ينفذ المكان نفضا ~ ينظر لكل ما في المكان

بعينه~:

لـيمسك كل منا بشيء يدافع به عن نفسه.

نظروا حولهم فلم يجدوا إلا صخورا وحصى، أمسك كل منهم

بصخرة وصنعوا دائرة، (محمد) مركزها و وجوههم خارجها..

(عاصم) :

-(محمد) هل تستطيع المشي؟

(محمد) :

-المشي نعم، أما الجري لا.

(عاصم) :

-سنسير معا إهطاعا ~مشية المسرع الخائف~، وندور حول سفح
الجبل حتى نصل الجهة الأخرى منه ونهبط لنكمل طريقنا، خذوا
الحذر.

ساروا إهطاعا ولكن (محمد) كان يسرع بهم حتى كأنهم يركضون،
يبدو أن الخوف أفضل وسيلة لشحذ الهمم..

لم يتكلم أحد منهم، وهم يهيموا في السير وتجاوز الوعر والالتفاف
حوله، حتى قطع سكوتهم صوت (فتحي) :
-انظروا..

نظروا إلى حيث يشير.. وهناك في البعيد ظهر واضحا..

(عبد الرحمن) :

-هذا جبل (موسى)..

(عمر) :

-هذا جبل (موسى)..

(محمد) :

-هذا.. هذا جبل (موسى)..

(حذيفة) :

-هذا جبل (موسى)..

(فتحي) وهو يشير إلى خط في الأفق :

-و هذا الطريق إليه.

(عاصم) :

-سنتجه للجبل مباشرة.

(حذيفة) :

-إذا اتجهنا للطريق المرصوف ثم إليه كان أفضل.

(عاصم) :

-كلاهما أرض وعرة، ولكن الذهاب للطريق أفضل الخيارين.

أخذ (عاصم) يهبط سفح الجبل وهم من خلفه..

ساروا والصمت سابعهم و تأكدت حقيقة لياقتهم البدنية، (عبد

الرحمن) يلهث، و (محمد) يسبح في عرقه وقد وجدته الذباب وجبة

دسمه، أما الباقون فكانت لياقتهم لا بأس بها.



11-وداع أم لقاء

كان المسير شاقا في وأخذ منهم وقتا طويلا و..

هنا تذكر (عاصم) أنه يجب أن يتكلم حتى أجد ما اكتبه، فسأل

(فتحي) :

-فيما تفكر؟

زفر (فتحي) و قال :

-سورة الكهف، "وجدها تغرب في عين حمئة"، يقول المفسرون

أن المقصود بعين حمئة هو بحر من الطين الأسود، شيء أشبه

بالرمال المتحركة، في القرآن كل كلمة مقصودة و لها معنى دقيق،

هنا وردت كلمة عين وليس بحر، لماذا؟ مع أن كلمة بحر وردت

في القرآن، إلا أن كلمة عين هي من أستخدمت في هذا الموضع.

(عاصم) :

-لأن خصائص المكان لا تنطبق على البحر.

(فتحي) :

-بالضبط، لقد انتهت حدود المكان المعروفة بالنسبة إلى ذي القرنين، وهنا عجز المفسرون عن تفسير نهاية الوجود المعروف لأنه يصعب تخيلها، لذلك وضعوا ذلك التفسير الذي يتناسب معهم وليس مع الحقيقة، أما بخصوص الشمس فواصلت مسيرها وبدأت لذي القرنين أنها تغوص في عين حمئة والحقيقة إنه ثقب أسود، ثقب أسود أشبه بالعين الحمئة في فهم ذي القرنين.

(عاصم) :

-عين حمئة جاءت لوصف تصور ذي القرنين وليس حقيقة ما يحدث للشمس.

(عمر) :

-حديثك يثير القشعريرة في بدني، هل تتخيل نفسك على حافة الوجود حيث ينتهي عالمنا المعروف ويبدأ وجود آخر تختلف قواعده عن قواعد عالمنا؟

الحقيقة أن القشعريرة الباردة سرت في ابدانهم جميعا، حتى أنها جمدت الدهون المتبقية في (محمد) قبل أن يتلاشى من الوجود نتيجة الذوبان السريع لدهونه.

وضع (حذيفة) كفه غطاء يحجب به الشمس عن عينيه، و ينظر إلى الطريق المرصوف الذي يختفي خلف البيئة الجبلية الوعرة وقال:

-لم نعد نرى الطريق!

(عمر) :

-ولكننا نسير في اتجاهه.

استخدم (محمد) ياقة قميصه كمروحة وقال من بين عذاباته:

-الشمس تشوينا شيا.

دعك من هؤلاء ومعاناتهم، لا أحسب لديهم شيء ذو قيمة ودعنا نعود إلى (عاصم) و (فتحي).

(عاصم) :

-رحلة ذي القرنين من المغرب إلى المشرق استغرقت اثنتي عشرة سنة.. اثنتا عشرة سنة يا (فتحي).

(فتحي) :

-اثنتا عشرة سنة استغرقها رجل⁵ أوتي من كل شيء سببا.

(حذيفة) :

⁵ أغلب الظن أن ذي القرنين رجل صالح وليس نبيا أو رسولا.

-اثنتا عشرة سنة.. إذا أُعطينا عُشر ما أُعطي فسنحتاج مئة وثمان سنوات..

(عمر) :

-مئة وثمان سنوات حتى نعود إلى نفس النقطة إذا كانت كروية، وأربعة و خمسون سنة لنصل إلى حافة العالم إذا كانت مسطحة، هذا على افتراض أننا في وسط المسافة.

(محمد) :

-هذا إذا لم تكن مزيجاً من هذا و ذاك.

(عبد الرحمن) والدهشة تبحث فيه عن بعض القوة لتضع نفسها على وجهه:

-و كيف هذا؟

لم يتكلم (محمد) وأخرج من جيب قميصه دفتر ملاحظات ~معذرة أنه شيء مبتل يشبه الورقة السمكية~، وثناه على شكل أسطوانة وقال:

-هكذا.. إذا سرت حول محيطها الدائري فأنت تسير على أرض كروية، ولكن إذا سرت بين طرفي الأسطوانة فأنت تسير على

أرض مستوية، ولعل ذي القرنين سار على الجزء المستوي من الأرض.

نظروا إليه في دهشة وساد الصمت بُرهة، قبل أن يقطعه (فتحي) :
-لا، لا أظن ذلك.

(عاصم) :

-ولكنه احتمال لا بأس به، رغم أن حظه من الحقيقة قليل.

(محمد) وهو يعيد ذلك الشيء المُسمى دفتر الملاحظات إلى جيبه:
-لماذا؟

(عبد الرحمن) :

-لم تذكر هذه الهيئة في كتب المهتمين ولم يُلمح إليها.

(محمد) :

-ربما نكون أول من يكتشفها ويتحقق منها.

من غير اقتناع قال (عبد الرحمن) :

-ربما.

(عمر) وهو ينظر للطريق المرصوف على مسافة منهم:

-لقد أوشكنا على الوصول.

نظروا جميعا إلى الوقت، كل إلى ساعته أو هاتفه النقال، الساعة هي الحادية عشرة وسبع دقائق.. لقد استغرق مسيرهم وقتا طويلا، لقد تجاوزوا الموعد المحدد بسبع وثلاثين دقيقة.

(محمد) بقنوط يُحسد عليه:

-لقد فات الموعد، لاشك أن الدكتور (مختار) قد غادر.

(عاصم) بعزم وتصميم :

-لن أعود بدون زيارة جبل (موسى).

(فتحي) وابتسامة شاحبة على وجهه:

-على الأقل سنقول أننا زرنا مصر.

لم يتكلم الباقون و واصلوا المسير حتى وطئت أقدامهم الطريق المرصوف أسفل جبل (موسى) ،لقد اقتربوا من الجبل دون أن يدركوا ذلك، ولأول مرة أدركوا أنهم في مكان مطروق، هناك طريق عبارة عن سلم من الصخور إلى رأس الجبل، ورجل كبير السن يرتدي ثياب تشبه ثياب بدو سيناء على مسافة منهم، اقتربوا منه وبعد السلام سأله (حذيفة) عن نهاية الطريق في الجبل.

الرجل:

-سر على السلم وستجد النهاية أمامك.

شكراً يا حاج على هذه المعلومة الثمينة، مضوا صعوداً على سلالم صخرية طويلة مُتعبة، لقد علموا الآن لماذا يفضل الناس صعود الجبل بعد العصر، ساروا حتى وصلوا النهاية.. حسناً.. كانت خالية.. رغم تأخرهم.. كان الأمل يحدوهم بأن يجدوا الدكتور (مختار) ينتظرهم.. ولكن المكان كان خالياً.. من كل شيء إلا الصخور و بعض النبات.. وبعض آثار الأقدام تُخبر أن ها هنا كان أناس قبل وقت قليل..

(عمر) بصوت حزين :

-لقد غادر بدوننا..

لقد تأخروا كثيراً.. كثيراً جداً.. ساد صمت حزين بينهم وهم ينظرون إلى بعضهم البعض..

هذه هي النهاية..

نهاية رحلتهم..

ونهاية أمالهم..

-وهل استطيع أن أغادر من دونكم يا أعزائي..

هذه كانت من الدكتور (مختار) وهو يبرز من وراء ثنية في الجبل
وخلفه شاب..

المفاجأة الرائعة.. الجميلة جمدهم في أماكنهم، قبل أن يذوب الثلج
ويندفعوا نحوه مهللين و مرحبين..

ماهذا؟ أين الكلمات الثقيلة؟ و التهديد والوعيد.. أين ذهب كل
هذا؟.. ذهب أدراج الرياح! ..

وضع الدكتور (مختار) يده على كتف الشاب الذي معه، وقال
بفخر:

-ابني (نور)، مصور محترف ويجيد عمليات الرسم و التحرير
بالحاسوب، وهو من سيوثق رحلتنا بالصور والمرئيات.

لحظة.. توقف هنا.. ماذا سيفعل هذا الـ (نور)؟ يوثق رحلتكم؟..
وماذا أفعل أنا؟ أكتب حكاية حمار جحا؟.. ماذا أفعل أنا؟ وأنا منذ

البداية أوثق رحلتكم.. بدءا من الأستاذ (عاصم).. الأستاذ (عاصم)
دخل.. الأستاذ (عاصم) خرج.. الأستاذ (عاصم) أكل.. الأستاذ

(عاصم) شرب.. ثم يأتي هذا الـ (نور) ليأخذ دوري وعملي.. هكذا
بدون مقدمات و لا مؤهلات.. من الذي كان معهم من بيوتهم إلى

الفندق إلى الشقة؟ أنا، أليس كذلك؟ من كان معهم وهم يحلون

أحاجي الدكتور (مختار) ويذهبون من مكان إلى مكان؟ أليس أنا؟
من كان معهم من القاهرة إلى سيناء إلى جبل (موسى)؟ أليس أنا؟
أنا أوثق رحلتهم وأكتب كل شيء عنهم، وأنفاسي أوشكت أن
تُزهق وأنا أركض معهم هنا وهناك، وأصعد معهم الجبل مع أن
لياقتي سيئة، حتى أنني لا أظهر في المشاهد أبداً واكتفي بالتوثيق
وكتابة اسمي على المذكرات، ثم يأتي هذا الـ (نور) ليأخذ دوري
وعلمي وتضحياتي العظيمة..

ثم ما هذا الـ (نور)؟ دعوني أوصفه لكم.. يقارب (حذيفة) في
الطول ولكنه ربما أقصر بقيد أنملة، ونحيل مثله ولكن بشرته
قمحية قريبة من البيضاء، وشعره ناعم قصير، الحقيقة أن ملامحه
أنثوية حتى أن وصفه بـ "جميل" أدق من وصفه بـ "وسيم"، وقد
أدرك هو هذه الحقيقة فحاول أن يظهر رجولته، فنفس صدره
وحاول أن يجعل صوته خشناً باصطناع بحة لا تفارقه، وإظهار
خشونة في تصرفاته.. أن هذا الـ (نور) يصلح لدور (مامي) و
(داداي) وليس لتوثيق رحلة عظيمة..

ثم أن الدكتور (مختار) فخور به كأن هذا الـ (نور) فاتح
القسطنطينية أو الأندلس..

أن ما يحدث هنا لهو الهراء..

الهراء ذاته..

لن نتبع سير ذي القرنين.

قالها الدكتور (مختار) وهم جلوس جميعا في بهو الفندق، ثم أكمل

:

-سأخفي مسار الرحلة مؤقتا لأجل أمننا.

و حلت الجدية على وجهه مع قوله:

-أتمنى أن تدركوا جميعا أن رحلتنا مهمة جدا، وهي تمثل للبعض

خطورة شديدة على خطته وأهدافه، تجعله يحرص على منعها بكل

جهده، لذا يجب أن لا يعلم أحد وجهتنا وماذا نفعل.

وافقه الباقون ولكن (حذيفة) سأل عما يدور في ذهني:

-وما وجه الخطورة التي تمثلها رحلتنا؟ وماذا ندعي أننا نفعل هنا؟

الدكتور (مختار) :

-خطورتها أنها تهدم أكثر من أربعة قرون من التزوير ، وأكثر من

تسعين سنة من التظليل وتغيير الحقائق، أما ما نفعله هنا هو

السياحة.

(فتحي) :

-ومتى سننطلق إلى وجهتنا؟

الدكتور (مختار) :

-لنكن مستعدين في أي لحظة.

نهض الدكتور (مختار) و خص (عاصم) بحديثه:

-سأتحدث إليك في أمر ما.

والتفت للباقيين مردفا:

-كما قلت (نور) بمثابة ابني، وهو من سيوثق رحلتنا، أرجو منكم

معاونته ومساعدته.

أكد المتبقون وهم ينظرون إليه مع (عاصم)-الذي وقف بدوره-

حرصهم على ذلك.

يا سلام.. يا سلام.. وكأن هذا الـ (نور) درة هذا الزمان ومحور

الأفلاك.. أرجو منكم معاونته ومساعدته.. هذا الـ..

(عمر) وهو يغير مجلسه ليصير جوار ذلك الـ (نور) :

-بمثابة ابنه؟ الم يقل أنك ابنه؟

الـ (نور) وهو يضع ساعديه على ركبتيه في فتوة مفتعلة، وبحة

ملحوظة:

-الدكتور (مختار) هو أستاذي وكان له دور كبير في دراستي
الجامعية، وعلاقتنا أشبه بعلاقة الأب بابنه.

(فتحي) :

-لهجتك شامية!، من أي جزء منها؟

ذلك الـ (نور) :

-لبنان.

أهلاً وسهلاً.. سهلاً وأهلاً.. هذه أصبحت جامعة الدول العربية
وليس فريق مغامرات.. لا.. لقد أصبحت منظمة المؤتمر الإسلامي
كي لا ينزعج (عمر) و (عبد الرحمن).. أخشى أن تصبح هذه
المغامرة عبارة عن شجب واستنكار.. المصيبة أن يصيروا بعد
قليل هيئة الأمم المتحدة ولا هم لهم سوى الإعراب عن القلق..
وتصير المغامرة كلمة على صفحة ماء.. لا حول ولا قوة إلا بالله..
لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..

12-الطرف الآخر

وضعوا حقائبهم في القارب الكبير والظلام يحيط بكل شيء،
والنجوم تلمع كالجواهر في السماء الحالكة، كانت ليلة لا قمر فيها
ولا ضياء، و (عبد الرحمن) ينظر حوله فلا يرى شيئا سوى قمم
الجبال المظلمة تطل عليهم، كمردة يتساءلون، ماذا هؤلاء يفعلون؟
حتى السيارة التي احضرتهم، اخفاها الظلام فلم يظهر منها شيئا،
وقال (عمر) همسا:

-أشعر بأننا مجموعة من اللصوص أو المهربين.

رد عليه (عاصم) همسا بدوره:

-صدقا، أن مصير اللصوص و المهربين سيكون أفضل من
مصيرنا، أن من يعرف مهمتنا وخطورتها على أهدافه و مشاريعه،

سيجد أن موتنا أنجع مصير لنا.

انسل (حذيفة) ليقف بينهم ويهمس:

-هل تثقون في الدكتور (مختار) ؟

(عاصم) :

-لا أظن أن لهذا السؤال قيمة الآن.

نظروا إلى الظلام الذي يُخفي الدكتور (مختار) وهو يتحدث مع السائق الذي أحضرهم، ثم دارت الرؤوس إلى النوتي الذي انهمك مع (محمد) و (عبد الرحمن) في وضع وترتيب الحقائق.

(حذيفة) :

-أين (نور)؟

(فتحي) :

-مع الدكتور (مختار) والسائق.

(حذيفة) :

-هل تعلمون وجهتنا؟

(عاصم) :

-سنذهب إلى حيث ننتظر في مكان ما، إلى حين تبدأ رحلتنا.

(فتحي) :

-لكن أين وجهتنا الحالية؟

(عاصم) :

-ليس مهما الآن.

(حذيفة) :

-لكن أنت تعلم أين هي؟

(عاصم) :

-أعلم ولكن من الأفضل أن لا يعلمها الجميع، يجب أن نعود أنفسنا

على الثقة بالدكتور (مختار).

(فتحي) منزعجا :

-ألا ترى أن يخصك الدكتور (مختار) بثقته من بيننا فيه إهانة لنا؟

(حذيفة) :

-هذا صحيح، لماذا أنت بالذات؟

جاء صوت الدكتور (مختار) قريبا منهم:

-لأن هذا أفضل للجميع، السر عبئ ثقيل، يجعل الإنسان راحته في

نقله من على كاهله الى كواهل الآخرين.

التفت (فتحي) إلى الظلمة التي اتخذت هيئة الدكتور (مختار) قائلا

:

-ولماذا (عاصم) من دوننا؟

اقترب منهم أكثر وقال:

-هذا السؤال يجيب عنه الاختبار النفسي الذي اجبتم عنه جميعا.

(حذيفة) محتدا.. منزعجا:

-أي اختبار هذا؟ لم نخضع لأي اختبار.

(فتحي) وقد عاد الهدوء لصوته:

-أنه يقصد أول اختبار لنا، تطبيق الأسئلة الذي قمنا بتحميله

والإجابة عن أسئلته.

الدكتور (مختار) بصوت عال:

-جاهز يا (سعيد)؟

رد عليه النوتي:

-جاهز يا معلم.

سار الدكتور (مختار) من أمامهم وهو يقول :

-هيا بنا.

ركبوا جميعا القارب ورفع النوتي الخشبة الطويلة التي كانت

جسرا بين القارب والأرض، وأدار المحرك وانطلق والصمت معهم

والظلام يبتلعهم أكثر فأكثر..

وهناك بعيدا بعيدا.. يا ابن الحلال.. انس موضوع بيت خالتك وبيت

جدك.. أنا أقول بعيدا بعيدا.. فتقول لي عند بيت خالتي و بيت

عمتي.. ما هذا الإنسان الذي لا يعلم من الدنيا إلا بيت خالته وبيت

عمته؟.. صلة الأرحام أمر محمود.. لكن أن تصبح كل عالمك فهو
أمر مذموم.. ثم أين بيت عمك وبيت خالك؟..

هناك بعيدا بعيدا.. في الولايات المتحدة الأمريكية.. في مكتب داخل
مركز المخابرات الأمريكية في فرجينيا.. نعم هو (سي. آي. إيه)..
جلس ثلاثة رجال.

قال الجالس خلف المكتب :

-ما أخبارهم؟

قال الجالس أمام المكتب إلى يمينه:

-الفريق الأمريكي يتحرك بثقة ووضوح وهم سينطلقون قريبا في
اتجاه الغرب، الفريق الآسيوي انطلق بالفعل في اتجاه الشرق،
الفريق الأوروبي سينطلق نحو الشمال في أول الشهر، وهم
حذرون جدا ويحاولون التمويه والتخفي، لكنهم تحت أعيننا،
الفريق العربي يتحرك بحذر شديد جدا، انقطعت أخبارهم في
سيناء.

الجالس خلف المكتب:

-انقطعت أخبارهم؟

الجالس أمام المكتب إلى يساره:

-لا نزال نبحث عنهم، نعتقد أنهم في سيناء مصر حتى الآن،
وسنعثر عليهم قريباً، و سفينتهم تحت الرقابة الشديدة وهي لم
تغادر ميناء الاسكندرونة في تركيا حتى الآن.

الجالس وراء المكتب :

-العرب يتحركون بحذر شديد لأنهم يعلمون أن لا ظهر لهم،
والقضاء عليهم لن يثير اهتمام أحد، المهم ما هي الخطوة التالية؟
الجالس أمام المكتب إلى يساره :

-سننتظر خروجهم من نطاق الاتصال مع عالمنا، بحيث لا يمكنهم
الاتصال بأي جهة، ثم سيتم التعامل معهم بشكل حاسم ونهائي.

الجالس أمام المكتب إلى يمينه:

-سيتركون خلفهم عوامات تحمل عتاد لتقوية إشارة الاتصال،
لضمان بقاء الاتصال مع أرضنا لأطول فترة ممكنة، ولكن الفريق
الأمريكي سيعتمد على تقنية قريبة من تقنيات أقمار الطقس
الاصطناعية لنفس الغرض.

الجالس خلف المكتب :

-لا يمكن السماح لهم بتجاوز حدود أرضنا، سيدمرون جهد ما يزيد عن سبعين سنة من العمل الشاق في إقناع الناس أن هذا هو عالمنا كله، وسيوضح ما نحاول إخفاءه والاحتفاظ به لأمتنا.

الجالس أمام المكتب إلى يساره :

-سيدي لا يمكننا فعل شيء الآن، سننتظر حتى يقترب انقطاع اتصالهم بأرضنا، وهذل سيحدث قبل مغادرتهم أرضنا، في تلك اللحظة سيفكرون بإنشاء نقطة تقوية اتصال، في تلك اللحظة فقط سننقض عليهم وندمرهم تدميرا كاملا.

قال الجالس خلف المكتب وقد راق له موضوع التدمير ~أليس أمريكيا~:

-يبقى هؤلاء مجرد منفذين ويتبقى موضوع الجهات الممولة، يجب الوصول إليها والقضاء عليها، لمنع تكرار هذه الحملات وزرع الخوف والرعب في قلب من يحاول تكرارها.

الجالس أمام المكتب إلى يمينه:

-الجهات الممولة كانت أكثر حذرا من المنفذين - ربما لأنها تدرك خطورة ما تفعله- وهي تتخفى بشكل جيد، ولكننا نجد في البحث عنها، وحتما سنصل إليها قريبا.

الجالس خلف المكتب :

-القضاء على الممولين لا يقل أهمية عن المنفذين، بل أن القضاء عليهم أكبر أهمية، فبدونهم لن يكون هناك منفذين.

الجالس أمام المكتب إلى يساره :

-بالتأكيد يا سيدي، بالتأكيد، نحن نقوم حالياً بالتدقيق في جميع حسابات البنوك، في جميع أنحاء العالم، لمعرفة الحسابات التي أستخدمت في شراء أو تأجير معدات المنفذين وكل ما له صلة بهم، وسنصل حتماً إلى طرف خيط يقودنا إليهم.

أكمل عنه الجالس أمام المكتب إلى يمينه :

-وحين نصل إليهم سنجعلهم عبرة لكل من يفكر في القيام بهذا الأمر مرة أخرى.

نعم.. المهم أن يصبحوا عبرة..

عبرة للجميع..

يا سلام.. هذا هو.. هذا هو.. دسائس.. مؤامرات.. مطاردات.. اغتيالات.. رصاص يتطاير.. قنابل تنفجر.. صواريخ تُدمر.. يا سلام.. هذا هو.. يبدو أن السلسلة ستتحوّل من الثرثرة والتسكع

إلى العمل والقتال.. سيصبح هؤلاء الشبان كفتة بعد قليل.. لقد
أوشكوا على قتلي بثرثرتهم.. لعلهم يتحركون الآن ويصبحون أكثر
نشاطا.. يا سلام.. يا سلام.. هذا هو.. هذا هو..

استغرقت رحلتهم سبع ساعات، كان الفجر حينها يبزغ ويرسم
معالم الأشياء، ومعالم جبال تظهر حدودها في ضوء الفجر،
والقارب يقترب شيئا فشيئا من الشاطئ، وقد ارتفع غطيظهم، هز
النوتي كتف الدكتور (مختار) برفق وهو يناديه:

-يا معلم.. يا معلم.. لقد وصلنا..

تنبه الدكتور (مختار) ومعه (عاصم) و (عبد الرحمن) الذي سأل:

-هل وصلنا؟

النوتي:

-نعم.

ثم انهمك في وضع الخشبة الطويلة بين القارب الشاطئ بمعونة
(عاصم)، في حين ايقظ الدكتور (مختار) و (عبد الرحمن) الباقين.

الدكتور (مختار) :

-ستبقى الحقائب في القارب، خذوا ما تحتاجونه لثلاثة أيام أو أسبوع على الأكثر.

كان النوم لا يزال ضبابه على مخاخمهم، ولكنهم أخذوا يخرجون ما يحتاجونه، في حين وقف الدكتور (مختار) مع النوتي على الشاطئ وأخذهم حديث لم يستطيعوا سماعه، والنهار يزيل قتامة الليل عن الأشياء.

اقترب (حذيفة) من الدكتور (مختار) قادمًا من القارب على اللوح الخشبي، وهو يحمل أشياءه في كيس بلاستيكي، حتى رآه النوتي فتوقف عن الكلام وسأل (حذيفة) :

-هل انتهيتم؟

نظر (حذيفة) خلفه، وكان الباقيون يسيرون الواحد تلو الآخر على اللوح الخشبي، الحقيقة أن سؤال النوتي كان لتنبية الدكتور (مختار) لقدومهم أكثر منه سؤالًا، وقد شعر (حذيفة) بذلك وجاراه في ذلك:

-نعم.

وقفوا جميعًا على الشاطئ ينظرون إلى الشمس وهي تبرز من الشرق وتلقي عليهم - والجبال من خلفهم - بضياءها وتصنع في



البحر طريقا ذهبيا يتلأأ، و تفضح الوجود بألوانه الهادئة، وفي انتظار أن يفرغ الدكتور (مختار) من حديثه مع النوتي، الذي

سارع وصافح الدكتور (مختار)، ولوح لهم بكفه ثم رفع اللوح
الخشبي وقفز في قاربه وانطلق فوق الطريق الذي تصنعه الشمس
بضيائها في البحر نحو الشمس.

نظر إليهم الدكتور (مختار) قائلاً:

-هيا بنا.

سار الدكتور (مختار) وهم من ورائه على هيئة طابور ينتهي بذلك
المدعو (نور)، وعلى طول الشاطئ الصخري الضيق كانت الجبال
إلى يمينهم والبحر إلى يسارهم، ثم انحرف بهم الدكتور (مختار)
في فتحة بين جبلين أشبه بالفج الصغير وهم من ورائه.. الواحد
تلو الآخر.. الواحد تلو الآخر.. لا يتكلمون.. لا يتذمرون..

ساروا قرابة نصف ساعة في بيئة جبلية وعرة، ليس فيها إلا
الصخور والرمال والأعشاب والنباتات الجبلية والصمت المخيف،
لا حيوان ولا طير.. حسنا هناك طائر يحلق من بعيد، وأنتي أظن
أنه فعلها نكاية في~ قبل أن ينحرفوا إلى شَّعب صاعد على ظهر
جبل، ويكملون سيرهم على الطريق الضيق الصاعد، الذي يدور
بهم حول الجبل.. يسرون.. ويسرون.. الواحد تلو الآخر.. الواحد
تلو الآخر.. ثم يسرون.. حتى أوشك (محمد) على الشكوى، في

هذه اللحظة تماما وقبل أن يشكل لسان (محمد) الحرف الأول من

شكواه، ارتفع صوت الدكتور (مختار) يقول:

-لقد وصلنا.

آهات الارتياح رسمت ابتسامة كبيرة على وجه الدكتور (مختار)

فقال:

-هيا. لا زلنا في البداية.. والرحلة لم تبدأ بعد..

(عمر) والضيق حاله:

-ومتى ستبدأ؟

الدكتور (مختار) مبتسما:

-حين تبدأ.

جميل هذا التعبير، تبدأ الأشياء حيث تبدأ وتنتهي حين تنتهي، يا

سلام.. إبداع..

كانت نهاية معاناتهم هي كهف واسع في حضان الجبل يطل على

الجبال الأخرى جهة الجنوب، كنت أود أن أقول أنه كهف مهجور،

ولكن كان يحتوي أشياء تُخبر أن هناك من سبقهم، عدة حزم

وموقد غاز خاص بالرحلات الخلوية، ومصابيح كهربائية تُشحن

بالطاقة الشمسية، وأكياس تحتوي خضار وأدوات لطهي الطعام
وأشياء أخرى.

الدكتور (مختار) :

-لقد تم إعداد المكان للإقامة.

(عاصم) :

-وهل تم التخلص من العقارب والثعابين؟

(عمر) وذلك المُسمى بـ (نور) :

-عقارب و ثعابين؟

(فتحي) :

-في هذه الأماكن تكثر العقارب والثعابين، خاصة تحت الصخور
والأحجار.

(عاصم) :

-ليحرص كل منا على تفحص الحجر أو الصخرة التي يجلس
عليها.

الدكتور (مختار) :

-ولا يرتدي أحدكم حذائه أو ثوبه حتى ينفذه، لنلا يكون فيه شيء
من الهوام.

(حذيفة) وقد صارت العقارب والثعابين تتراءى له في كل مكان :

-وكيف سنام؟

أشار الدكتور (مختار) إلى الحزم:

-هناك أكياس للنوم وما نحتاجه لإقامتنا في الأيام القادمة.

المدعو (نور) وهو ينفذ الثعابين الوهمية عن قدميه:

-وأين سنام؟

أجاب الدكتور (مختار) و ملامحه تقول أن الإجابة بديهية:

-في الكهف.

ثم أردف وكأنه تذكر أمرا منسيا:

-يجب أن نبقى أنفسنا ومكاننا سرا، لذا سنتحرك في المكان بحذر

شديد.

نظر (فتحي) إلى المكان والجبال المحيطة التي تحول بينهم وبين

العالم :

-وهل يوجد سوانا في هذه البقعة ؟

الدكتور (مختار) :

-لا نعلم، لنكن على حذر، ولا تنس خفر السواحل قوات الجبال، سيسألون ماذا نفعل هنا؟ لنتنقل بهدوء ونتخفى عن الأعين سواء كانت حولنا أم لا، والآن لنعد مكان إقامتنا.

انهمك الجميع في تنظيف وترتيب المكان، ولم يتركوا صخرة إلا وقلبوها واخرجوا ما استطاعوا حمله للخارج، ولا نبتة إلا اقتلعوها، وبعد ساعتين كان المكان جاهزا لهم، وقد جعلوا المطبخ قريبا من مدخل الكهف حتى تخرج روائح الطهي، والأسرة في الداخل، وجمعوا بعض الأغصان الجافة، ووضعوها على فتحة الكهف مع بعض الصخور لتصبح ضيقة لمنع الحيوانات~ لا يمكن أن تكون الجبال بلا ذئب أو غيرها من الحيوانات ~، وجعلوا شجرة شوك كبيرة بابا يضعونها حين ينامون.

-الحمام.. أين الحمام؟

قالها (حذيفة) كأنه اكتشف شيئا جديدا قيماً، ~وهذا صحيح، في أغلب القصص والمغامرات يتجاهلون الحمام، وكان الأبطال لا يحتاجون ذلك، وأنا أرى في ذلك بطولة زائفة، هات بطلا من هؤلاء وامنعه من دخول الحمام يوما واحدا فقط، وسنرى كيف يصير حاله؟~ لا بد من حمام.

(عاصم) :

-صحيح، سنبحث عن مكان يصلح كحمام، ولكن تبقى مشكلة الماء.

أشار (عبد الرحمن) إلى ثلاثة أوعية كبيرة وقال:

-وما هذا؟

(فتحي) :

-هذا الماء بالكاد يكفينا ثلاثة أو أربعة أيام للشرب والطهي فقط، نحتاج ماء للاستحمام والوضوء.

الدكتور (مختار) :

-الماء يجب الاقتصاد فيه، ولكن يمكننا توفيره.

(محمد) :

-البحر.

أكمل ليجيب عن ما تسأله ملامحهم:

-يمكننا الذهاب للبحر للاستحمام والوضوء.

(عاصم) :

-أنه يبعد عن هنا أكثر من ساعة.

وتكلم الدكتور (مختار) بسرعة :

-يجب علينا الحذر حتى لا ييرانا أحد، والذهاب إلى البحر يزيد من
مخاطر انكشاف موقعنا.

التفت المُسمى (نور) إلى الدكتور (مختار) :

-قلت أنه يمكن توفير الماء، كيف؟

الدكتور (مختار) :

-أظن أن هناك بئر قريبة للماء العذب، سنبحث عنها، وإن لم
نجدها، فسيصل لنا الماء العذب بعد ثلاثة أيام.



13- بداية البداية

نظر (حذيفة) إلى عمله في إعجاب، و قال (عمر) :

-عمل رائع بإمكانيات واهية.

أخذ (فتحي) يتأمل الحمام البدائي، الذي انتهوا من عمله في ثنية

من ثنايا الجبل، وبابتسامة قال:

-ومن يستخدمه يتمتع بمشهد طبيعي للجبال.

فرك (حذيفة) يديه وقال مسرورا -حولا أعلم لماذا؟-:

-الباب، الآن تبقى الباب.

نظر (عمر) حوله واتجه إلى نبتة جبلية كبيرة وكثيفة، وبحذر

اقتلعها، ووضعها على فتحة الحمام، ثم ابتعد قليلا لينظر إلى عمله

بإعجاب، كأى فنان يعاين لوحته، ثم رفع سبابته :

-و الآن.. الفحص والاختبار..

أمسك النبتة وأزاحها ودخل الحمام وأعاد النبتة لموضعها.

(حذيفة) :

-طق، طق، طق، هل نسيت شيئا يا عزيزي (عمر)؟

(عمر) :

-نعم، الماء..

قاطعته صيحة (حذيفة) وهو يهتف :

-أصغيا.

أصاخوا السمع لبرهة حتى قال (فتحي) :

-إلى ماذا نستمع؟

كان العجب والحيرة على وجه (حذيفة) وهو يقول :

-لقد خُيل إلي أنني اسمع صوت طائرة عمودية.

أزاح (عمر) النبتة وهو يشارك (فتحي) الدهشة ويقول :

-طائرة عمودية؟.. هنا!

نظر (حذيفة) إلى السماء :

-نعم، كان صوتها خافتا جدا لكنه مميز.

شاركه الاثنان النظر إلى السماء، قبل أن يقول (فتحي) :

-ربما خُيل إليك.

قال (حذيفة) دون أن يترك النظر إلى السماء وبغير اقتناع :

-ربما.

(عمر) :

-لا أظن أن في هذا المكان سوانا، أنا سأذهب لأحضر الماء لافتتاح
حمامنا الفاخر.

ساروا عائدين إلى الكهف، وعينا (حذيفة) لا تزالان تنظران إلى
السماء.

لقد سمع صوت طائرة عمودية..

أنه على يقين من ذلك..

أنه لم يتوهم ذلك..

نظر (عبد الرحمن) إلى الجبال من حوله وخاطب رفيقيه:

-أين يمكن أن يوجد بئر في هذا المكان؟

مسح (عاصم) المكان بعينه وأجابه:

-في الأرض المنخفضة بين الجبال أو على بداية سفوحها من
أسفل.

أظن (عبد الرحمن) عينيه بكفيه ليحسن من ابصاره ~ وإن كنت
أشك في ذلك ~ و علق:

-أشك أن يكون هنا بئر، لقد بحثنا طويلا في المنطقة ولم نجده.

اقتلع (محمد) نبتة جبلية كثيفة وأمسك جذعها، وجعلها مظلة

تحجب عنه الشمس، وأشرك نفسه في الحديث :

-لماذا لم يكن الحمام من نصيبنا، أليس بناء حمام أفضل من البحث

عن بئر مجهولة المكان؟

(عاصم) :

-لقد اخترنا ذلك، فلماذا نتراجع الآن؟ هيا نصعد سفح ذلك الجبل،

ربما نستطيع رؤية المنطقة بشكل أفضل.

لا أعلم ما قصتهم مع الطابور، لقد ساروا (عاصم) في المقدمة و

(محمد) في المؤخرة، حتى وصلوا سفح الجبل.

هنا قال (محمد) متضايقا:

-هل سنصعد؟

شرع (عبد الرحمن) في الصعود وقال:

-اسبقنا إذا كنت تطير، أما نحن سنزحف.

كانت الحالة النفسية لـ (محمد) في غاية السوء، خاصة وهو يرى

(عاصم) يثب من صخرة إلى صخرة صاعدا كالفهد، فنفت غيظه:

-وأين الأستاذ (نور)؟ لماذا لا يساعدنا؟

كان (عبد الرحمن) يدور حول الصخور ويتجنب الأشواك مما جعل تقدمه بطيئاً، وجعل تقدم (محمد) الذي يتبعه كسيحاً، ورغم المظلة فإن دهونه لم تتوقف عن الذوبان على هيئة عرق غزير يوشك أن يذهب ببصره، وأدرك (عبد الرحمن) حالة (محمد)، فقال مهوناً:
-أنه يساعد الدكتور (مختار)، هيا لقد وصلنا، خطوتان ونصل (عاصم) ثم نستريح.

بلغا (عاصم) الذي أعتلى صخرة كبيرة وجعلها له منارة، ينظر من فوقها إلى المكان من حوله، و ألقى (محمد) نفسه على صخرة عريضة، ووضع (عبد الرحمن) ظهره على صخرة (عاصم) وهو يلهث.

(عاصم) :

-لا أرى شيئاً يصلح كبئر أو يأخذ هيئة بئر.

(محمد) :

-لا يوجد بئر، من سيحفر بئراً في هذه الجبال القفر، لو أن هنا بئراً لكان للناس طريق إليها.

(عبد الرحمن) :

-ربما رُدمت البئر لمنع الناس، أو دفنتها الصخور الساقطة من
الجبل.

قال (عاصم) أمرا بقوة:

-اصغيا.

صمتوا جميعا،حتى (محمد) كتم أنفاسه، قبل أن يقول (عاصم) :

-هل سمعتم؟

(عبد الرحمن) :

-سمعنا ماذا؟

(عاصم) :

-صوت أشبه بصوت طائرة عمودية.

نفى (عبد الرحمن) برأسه ولسانه:

-لم اسمع شيئا.

أما محمد فاكتفى بالنفي مستخدما سبابته، مسكين لقد فرغت

طاقته، و... دوى صوت.. كليك... و التفت الجميع لمصدر

الصوت، ليجدوا المدعو (نور) يمسك بآلة تصوير ويلتقط لهم

صورة ويقول:

-صورة رائعة للمغامرين الثلاثة.

اكتفوا بالنظر إليه دون كلام كأنهم جميعا فرغت طاقتهم، فلوح لهم

المسمى (نور) وهو يقول :

-ماذا هناك؟ لا اسمع ترحيبا بقدومي لمعاونتكم.

أشار له (محمد) بكفه برسالة بليغة تعني "جنت يا عبد المعين

تعين.. وجدتك تريد معينا"

قفز (عاصم) من فوق الصخرة، وهو يشير إلى (محمد) بأن

ينهض وهو يقول:

-لقد وجدت البئر.

اندفعوا خلفه وهو ينزل سفح الجبل، حتى بلغ صخرة كبيرة، هتف

بهم (عاصم) وهويمسك بحافة الصخرة:

-هيا، ساعدوني على زحزحتها.

اجتمعوا عليها جميعا، وأبت أن تتحرك ثم لانت وأخذت تتزحزح

شيئا فشيئا، لتكشف فتحة بئر تحتها.

قال (محمد) لاهثا:

-كيف؟.. كيف عرفت؟..

أجابه (عاصم) وصدرة يعلو ويهبط من المجهود :

-شكل الصخور كان مبعثرا على هيئة دائرة، و الصخرة مركزها،
و حديث (عبد الرحمن) عن إخفاء البئر، جعلني أظن أن هذا ربما
مكان البئر.

وخز (عبد الرحمن) (عاصم) وأشار بيده، ونظر (محمد) إلى حيث
يشير، كان المُسمى (نور) قد جعل عدسة آلة التصوير مرآة وقد
وضعها فوق صخرة، وانهمك في تصفيف شعره ونفض الغبار عن
وجهه.

انتبه إلى تحديقهم إليه، فكشر وزمجر وقال:

-ماذا هناك؟

لم يجبه أحدهم وأطالوا التحديق إليه، فعاد يقول :

-ماذا هناك ؟ ألم تروا شخصا يهتم بمظهره من قبل؟

مرة أخرى لم يجبه أحدهم، ثم أمسك (محمد) ياقة قميصه وقال:

-يا خوفي منك، أنا في قلبي شيء منك.

صاح المدعو (نور) :

-شيء؟ شيء مثل ماذا؟ إن كان في قلبك شيء، قل ما هو الآن؟

تجاهلوه وهو يصيح ويعيد سؤاله، وقال (عاصم) :

-هيا بنا نعود.

(عبد الرحمن) وهو يشير إلى البئر :

-لا يمكننا تركه هكذا، سيقع فيه من لا يراه.

تعاونوا جميعا ~نعم، حتى هذا الكائن المُسمى (نور) معهم ~ في
بناء سور حول البئر من الصخور الكبيرة، ثم ساروا عائدين إلى
كهفهم.

التفت (محمد) ولا تزال نبتته فوق رأسه إلى المُسمى (نور) ،
وأشار له بسبابته اليمنى قائلا:

-أياك أن تكتب عني حرفا في يوميات الرحلة.

رفع المُسمى (نور) رأسه في عجرفة وقال:

-لن أكتب عنك أو أي منكم، أنا أقوم بتوثيق الاكتشافات المهمة
فقط بالصور والفيديو.

كانت الابتسامة تحيط بوجه (عاصم) وهو يسأل :

-ومن سيكتب يوميات الرحلة؟

المُسمى (نور) في عنجهية:

-لا أعلم و لا يهمني.

آآآه ه ه .. يا حبيبي يا (نور) .. ظلمتك يا عزيزي .. تصوير فقط ..
التقط صوراً كما تشاء .. المهم أن أكون أنا من يكتب يوميات
الرحلة .. يا صديقي .. العزيز ..

-أنا متأكد من سماعي صوت طائرة عمودية -يقصد هليكوبتر- .
قالها (حذيفة) بعزم وتصميم، وأيده (عاصم) :
-وأنا كذلك، لقد سمعتها وإن كانت بعيدة.

كان الوقت بعد العشاء، وقد فرغوا من الطعام، وهم جلوس في
دائرة وقد أمسك كل منهم بكأس شاي أو فنجان قهوة، وقد جعلوا
مصباحاً كهربائياً من خلفهم، بحيث يلقي ظلالهم داخل الكهف،
ورغم أن الجبل المقابل لكهفهم يمثل ساتراً ممتازاً لهم، ولكن
المزيد من الحذر لن يضر أحداً.

الدكتور (مختار) :

-ربما تكون دورية من دوريات حرس الحدود أو قوات الجبال.

(نور) :

-هل المنطقة خالية؟ ربما نحن قريبون من منطقة ما، قرية أو
قاعدة للجيش أو مركز ما.

الدكتور (مختار) :

-لا أظن ذلك، لقد تم اختيار هذا المكان لبعده عن الناس والعيون.

(محمد) :

-ربما الأمر كما قلت، دورية لحد..

هنا دوى صوت سمعه الجميع..

صوت لا يختلف فيه اثنان..

صوت رصاص..

دوى في عتمة الليل..

وسكون الجبال..

كان (عاصم) أسرعهم تصرفا، فقفز إلى المصباح الكهربائي وأطفئه.

لم ينبس أحدهم ببنت شفة، وهم يستمعون إلى صوت الرصاص يدوي من جديد، كان بعيدا ولكن واضحا..

واضحا جدا..

همس (عاصم) :

-يبدو كمدفع رشاش آلي.

(محمد) وهو يهمس بدوره:

-مطاريد الجبل أو مهربون.

(عبد الرحمن) هامساً :

-أو الجيش.

الدكتور (مختار) بصوت خافت:

-لا أظن، المكان بعيد جدا عن طريق المهربين وليس قريبا من أي

قرية أو بلدة، ربما يكون الجيش.

(عمر) :

-ماذا يكون إذا؟

الدكتور (مختار) :

-لا يمكننا الحركة الآن، ولن نعرف حتى نتحقق من الأمر صباحا،

الآن لنذهب لأسرتنا ونحاول النوم.

تحركوا جميعا بهدوء نحو أسرتهم، واندسوا جميعا في أكياس

النوم و..

ليدوي صوت من جديد..

هذه المرة كان الصوت واضحا..

وهو يتقدم بسرعة إلى مكانهم..

حتى أصبح فوقهم..

صوت طائرة عمودية..

كانت ليلتهم نابغية بحق، وألف سؤال في رؤوسهم، والقلق والأرق يكيان كل جنب وجدوا فيه راحة، وزادت الذناب الطين بله، وعوائها يدوي في الليل وتعيده الجبال من خلفها، و ازداد الليل خوفا ورهبة، ودار في أذهانهم سؤال وهم يسمعون ركضها أمام فتحة الكهف، هل سيمنعها بابهم الواهن من الولوج إليهم والانقراض عليهم؟..هل؟..

كان نور الفجر لهم راحة وفرج، فنهضوا الواحد تلو الآخر، وكل منهم يذهب بيت الخلاء في حماية الآخرين، وقد تسلحوا بالصخور وأغصان من نبات شوكي، وصلوا الفجر معا.

كشف نور الصباح قمم الجبال من حولهم، وأدخل شيء من الطمأنينة عليهم، ومع زحف الضياء تذوي مخاوفهم، حتى بدت ككوابيس يتذكرون اشلائها، ومع هذا.. تناولوا أظفارهم في صمت القبور وهم يلتفتون ذات اليمين وذات اليسار، وكل صوت يمسخهم تماثيلا والبُرهة تعيدهم.

والله قصتهم قصة حزينة لا يجدون سلاحا إلا الصخور وأغصان
النبات، وترتعد فرائصهم من الخوف، ما هذا الشباب الخرع؟ يبدو
أنني سأندم على تدوين رحلتهم، أين السلاح؟ أين البنادق
والرشاشات الآلية والقنابل؟ أين قلوب السباع؟ أين الركلات و
اللكمات والقفزات القتالية؟ أين طاخ.. طيخ؟ .. أين؟.. أين؟..
أين؟..

كنت أحسب أنني سأكتب أعظم رحلة قام بها بشر بعد ذي القرنين،
ولكن.. لقد خُذعت وغرر بي فلا حول ولا قوة إلا بالله.. أنني أكتب
قصة شباب (مامي ودادي وتيته)..

الدكتور (مختار) :

-سيذهب (عاصم) و (حذيفة) و (عمر) لتقصي ما يحدث..

اندفع (محمد) بالقول :

-سأذهب معهم.

نفي الدكتور (مختار) بكفه قائلا :

-لا، نحتاج خفيف الحركة ولياقته عالية، ستذهبون في الاتجاه
الذي جاء منه الصوت، (عاصم) في البداية وعلى مسافة منه
(عمر) ثم على مسافة أخرى (حذيفة)، كونوا على حذر شديد،

تقصوا الأمر فقط، لا تتدخلوا أو تشاركوا في أي شيء، وعودوا بأقصى سرعة.

خرج الثلاثة والباقون واجمّون، نهض (فتحي) قائلاً:
- سأريض قليلاً.

خرج واستمر الباقون على حالهم، وقطع صمتهم (عبد الرحمن) بقوله:

- ثم؟

التفتوا إليه وعيونهم تسأله عن مغزى سؤاله، فأكمل:
- ماذا سنفعل إذا وجدوا شيئاً؟

الدكتور (مختار) :

- لن نفعل شيئاً، سنحاول التخفي وعدم الظهور وسنتحرك للضرورة فقط، لقد بقي لنا يومان أو خمسة، ثم سنغادر.

نهض (محمد) قائلاً:

- سأريض أنا أيضاً.

الدكتور (مختار) :

- لا تبتعد، وكن حذراً و لا تبدو ظاهراً للعيان.

هز (محمد) رأسه موافقا وخرج، أشار الدكتور (مختار) إلى (عبد الرحمن) أن رافقه.

وضع (نور) كفيه على ركبتيه وقال :
-سأرافقهم.

الدكتور (مختار) :

-احرص على أن تكونوا قريبين.

أجابه (نور) بهز رأسه وتبعهم، وبقي الدكتور (مختار) وحيدا، ولكن لم تمض عشر دقائق حتى سمع صوت (فتحي) يناديه..
-أريدك وحدك فقط.

قالها (فتحي) بخفوت وحذر وجدية جعلت الدكتور (مختار) يشعر بالقلق، فسأل:

-ماذا هناك ؟

أشار له (فتحي) أن يرافقه، وسار صاعدا الجبل وخلفه الدكتور (مختار) ، وحتى وصل مكانا ظن أن أحدا لا يسمعه، قال:

-بالأمس حين سمعت صوت الطائرة، خُيل إلي أنني سمعت صوت ارتطام، كأنها ألقت شيئا أو سقط منها شيء، بحثت عنه.

صمت هنيهة ثم أكمل:

-ووجدته.

بلغا صخرة كبيرة ورأى الدكتور (مختار) كيسا كبيرا من البلاستيك،

كان الكيس ممزق وظهر منه..

لحم مزقته الذئب أو الكلاب..

وعظام..

و رأس..

رأس بشرية..

تنظر إليهم..

بعينين شاخصتين..

يا سلام.. ما أبدعك..

قعد (محمد) على صخرة تطل على ما أشبه بالوادي بين الجبال،

وشعر بمن يجلس بجواره في صمت.

-ماذا بك؟

قالها (عبد الرحمن) بعد فترة صمت بصوت خافت كأنه يحدث

نفسه، وأجابه (محمد) كأنه ينتظر هذا السؤال :

-هذه الرحلة..

قالها وسكت وانتظره (عبد الرحمن) أن يكمل، ولما طال سكوته

استحثه:

-ما عنها؟

(محمد) بصوت يوشك على البكاء :

-نحن لسنا أهلا لها.

(عبد الرحمن) :

-لماذا؟

(محمد) والضيق يصارع الحزن في صوته:

-ألم تر حالنا بالأمس، العجز والضعف والبؤس، كل هذا والرحلة

لم تبدأ بعد، كنا مجموعة من العجزة الجبناء~الحمد لله، أخيرا

أحدهم شعر بما أشعر به~، لقد هربنا من واقع تعيس نألفه إلى

آخر مخيف نجهله، ذاهبون في رحلة قد تجعلنا أضحوكة الناس

عبر التاريخ، أو أعظم رحلة لبشر بعد رحلة ذي القرنين.

ترك (عبد الرحمن) الصمت يأخذ مكانه ثم قتله:

-هل عملت يوما في شركة أو مؤسسة.

(محمد) والغلبة في صوته للحزن:

-عملت في ثلاث شركات.

(عبد الرحمن) :

-وأنا أيضا، في الأيام الأولى تشعر أنك أحمق وغبي ولا تعرف شيئا، رغم أنك تعرف العمل جيدا بل ومارسته من قبل، ثم تبدأ الأمور تتحسن، وتشعر بالثقة حتى تصل إلى وقت تشعر بأنك تسيطر على عملك وتديره كما تشاء.

صمت فسأله (محمد) :

-ماذا تقصد؟

(عبد الرحمن) :

-أقصد أننا لا زلنا في البداية، ومن الطبيعي أن ينتابنا شعور بالعجز والضعف، لكن هذا كله سيزول مع الوقت والممارسة، و سنبدأ باستخدام خبراتنا ومهاراتنا وما تعلمناه، ونمزجه مع واقعنا ونقهر به ما نواجهه من مشكلات ومعضلات.

تفكر (محمد) في حديث (عبد الرحمن)، كان كلاما منطقيا ولكن الضيق لم يترك صدره، ووجد نفسه يهتف:

-وهذا الـ (نور) ؟

سأله (عبد الرحمن) مستغربا:

-ماذا عنه؟

(محمد) :

-لا أعلم، لا أطيعه، لا أستريح له، لا أعلم لماذا؟ كيف بلد مثل لبنان ، جميل ورائع وأهله لطفاء، يخرج منهم هذا الكائن؟
هنا دوى صوت يقول:

-لا أعلم كيف بلد جميل وطيب مثل مصر يخرج منها هذا الخرتيت؟
التفتا إلى الصوت، ليجدا (نور) يقف خلفهما وينظر إلى (محمد) في تحد، وقد اتخذ وقفة تراها كثيرا في إعلانات أفلام القتال، حيث يقف البطل وقدمه على صخرة، ويمسك البندقية على كتفه واليد الأخرى على خاصرته، حسناً.. (نور) لم يكن معه بندقية ولذلك جعل يديه على خاصرتيه.

نهض (محمد) بسرعة وقوة، لقد آن الأوان ليعرف هذا الـ (نور) حجمه، عار على من في حجم (محمد) أن يسكت على هذه الإهانة، أن هذه الجثة خلقت لأمر عظيم، وهو تهشيم عظام هذا الـ (نور)..
هنا أمسك (عبد الرحمن) يد (محمد) وهو يرجوه:

-بالله عليك دعه، إن لم يكن لأجل الدكتور (مختار) ، فلأجل الرحلة، بل لأجل من هو أعظم من هذا كله، لأجل الله.

أوشكت أسنان (محمد) أن تتهشم وهو يكتم غيظه إكراما لكل ما
قاله (عبد الرحمن) ، الذي اندفع نحو (نور) وأمسكه من ذراعه
وجذبه ليقناده بعيدا.

لا حول ولا قوة إلا بالله، كلما فرحت بأن هناك إثارة وبعض
الكلمات في هذه القصة، جاء من يفسدها، حسبنا الله ونعم الوكيل.
عاد (محمد) إلى مجلسه والغيظ يغلي في صدره، وسرح ببصره
بعيدا يفكر في أمرهم، وشعر هو بـ (عبد الرحمن) يعود إلى مكانه،
وضع يده على ظهر (عبد الرحمن) قائلا:

-شكرا لك..

هذا عجيب..

متى نبت لـ (عبد الرحمن) شعر على ظهره؟..

وكيف أصبح شعره طويلا هكذا؟..

بل كيف أصبح ظهره نحيفا تحيطه بكفك..

و توشك أن تحصي عظامه..

التفت إلى (عبد الرحمن)..

لا حول ولا قوة إلا بالله..

إنا لله وإنا إليه راجعون..

(عبد الرحمن) صار ذئبا..

ذئب ينظ إليه بعينين..

امتلتا جوعا وشوقا..

طبعا..

أنه لم ير مثل هذه الوجبة الكبيرة من اللحم والدهن؟..

أين يوجد مثلها في تلك الجبال والقفار؟..

يأكلها ويصوم بعدها عاما..

بل عشرة أعوام ..

وجبة كُتب عليها..

"صنع في مصر" ..

"طبقا للمواصفات القياسية المصرية" ..

"حاصل على شهادة الجودة أيزو" ..

الآن.. الآن سينقض على (محمد) ويلتهمه التهاما..

هذا هو الذئب.. بل هذا هو الأسد..

يا فرحة (أم عامر).. يا فرحة (أم عامر)..

ماذا تريد معه؟..

بطاطس مقلية؟.. وكتشب أيضا..

هذا ذنب له ذوق..

يا سلام.. يا سلام.. هذه هي الإثارة.. هذا هي الإثارة..

وزمجر الذنب..

الله.. ما أروعك..

هذه زمجرة أم موسيقى من وديان الجنة؟..

وانقض على (محمد) بكل شراسة..

وجوع..

ومعه..

معه رقص قلبي..





-لا يصح ما قلته.

قالها (عبد الرحمن) بحدة وهو يقف مع (نور) أمام فتحة كهفهم،
ورد عليه (نور) بحدة أكبر:

-أنا لا أقبل الإهانة من مخلوق على وجه الأرض، ثم أيصح ما قاله
هو؟ .

زفر (عبد الرحمن) بقوة قائلا:

-لا، لكن أنت جعلتها إهانة صريحة، ونسيتم جميعا أننا فريق
واحد، يجمعنا مصير واحد، وسنمضي معا وقتا طويلا، وهذه
الشحناء ستجعل حياتكم جحيما، وتلقي بالتوتر والضيق على
الجميع.

جاء دور (نور) ليزفر قائلا:

-حسنا، ماذا تريد مني أن أفعل؟

أسرع (عبد الرحمن) بالرد :

-أن تعتذر له.

صاح (نور) :

-مُحال.

نظر له (عبد الرحمن) في أسف وقال:

-مع الأسف ستكون أنت السوسة التي ستحطمنا وتمزق شملنا،
طبيعتك التي لا تسامح ولا تتساهل ستجعلنا نجامك لأجل الدكتور
(مختار) و سنصبر عليك بعض الوقت، ولكن من الصعب أن نصبر
عليك كل الوقت.

نظر له (نور) في غضب وأراد الكلام، ولكن الكلمات غصت في
حلقه، واندفع متجاوزا إياه في غضب.

أطرق (عبد الرحمن) برأسه في أسف ~أشاركه إياه~ وهو يفكر
في الرحلة وكلمات (محمد) تتردد في ذهنه..

هل هم حقا لا يصلحون لهذه المرحلة؟ هل ستنتهي الرحلة قبل أن
تبدأ؟ هل ما قاله لـ (محمد) حقيقة أم خداع للنفس؟ هل سيذهب
عنهم الضعف والعجز والتردد ليحل محلهم القوة والقدرة والثقة؟
هل..

انتبه في هذه اللحظة إلى صياح يأتي من بعيد، التفت حوله يبحث
عن مصدره، ليرى (حذيفة) يركض على الطريق الصاعد إلى
كهفهم وهو يهتف بأسمائهم..

أسرع إليه (عبد الرحمن) ليلاقيه، ولكن (حذيفة) بلغه قبل أن
يسير بضع خطوات، وسقط (حذيفة) على الأرض عند أقدام (عبد

الرحمن) ، والكلمات تقتل بعضها في فيه دون أن تغادره، والذعر على وجهه، والدموع توشك على الطفر من عينيه، و (عبد الرحمن) يربت عليه ويحاول تهدئته، حتى استطاع تمييز كلماته وهو يقول :

-ع.. (عمر).. (عمر) مات.. ق.. قتلوه..

نُكمل في الكتيب القادم

نُكمل في الكتيب القادم!.. من كتب هذه؟.. من وضع هذه؟.. الآن بدأت القصة وتحركت الأحداث.. بعد أن أوشك الممل أن يقتلني.. بعد أن عرفت هيئة الموت وأدركت طبيعته من ثرثرتهم.. تقول نُكمل في الكتيب القادم؟.. أريد أن أعرف ماذا حدث بين (محمد) والذئب؟.. هل أكله الذئب؟.. هل هو لذيذ المذاق؟.. أم أن (محمد) نجا؟ يا للمصيبة وكيف؟.. ما سر العظام التي وجدها (فتحي)؟ عظام من؟ من أين جاءت؟.. هل مات (عمر)؟ ومن قتله؟ ولماذا؟.. ما مصير (عاصم)؟ أين هو؟.. كل هذه الأسئلة نريد إجابات لها.. ولكن..

ما زلنا في البداية..

بداية البداية..

الجزء الثاني بمشيئة الله تعالى

القصابون



ابراهيم محمد



رحلتنا إلى حدود العالم.. لمعرفة الحقيقة



واجابة السؤال.. اكروية هي ام مسطحة؟

الرحيل

هيا أسرع.. إلى أين؟ إلى نهاية العالم.. لماذا؟

نريد أن نعلم هل هي كروية أم مسطحة؟..

أسرع يا أخي أسرع.. ترتدي سراويلك؟

يا سلام! وهل انجبتك أمك مرتديا سراويلًا؟

لماذا قفزت من النافذة؟.. لأنني لا أملك وقتًا

لأقرع بابك.. ثم من هذا الذي يشرب القهوة

عاريًا.. شأنك عجيب.. عجيب جدًا.. تنتعل

حذاءك؟ وهل انجبتك أمك منتعلًا حذاءً؟

أسرع يا أخي أسرع.. عاصم؟ لقد سبقنا..

الباقون؟.. ذهبوا معه.. أسرع.. أسرع..

الجزء التالي
القصابون

